إكليمنضس الاسكندرى

الله والمال

ترجمة

موسى وهبة مينا

كنيسة مارمينا العجايبى بالمندرة
اسكندرية

إكليمنضس الاسكندرى

اللهُ والمالُ

ترجمة

موسى وهبة مينا

كنيسة مارمينا العجايبى بالمندرة
اسكندرية

هذا الكتاب

منح الرب كنيسته المقدسة نعمة الروح القدس • ووعد – وهو أمين – أن يمنحنا به أن نتعلم كل شيء وأن نتذكر كل ما كان يقوله الرب حين كان معنا بالجسد •

والذين عاشوا للمسيح وبه فقد نالوا قدرة الهية فائقة في تفسير أقواله المقدسة •• واكليمنضس واحد من هؤلاء ، كتب الكثير من المؤلفات ، وترك لنا تراثا غنيا ودسما ومشبعا للروح •

ويتناول اكليمنضس في هذا الكتاب قضية المال ، وهي من أخطر القضايا الايمانية في حياة المؤمنين • ويكفي أن الرب قارن نفسه به من جهة العبادة اذ قال : لا تقدروا أن تعبدوا سيدين الله والمال • ولعل هذا هو السبب الى اطلاق « الله والمال » عنوانا لهذا الكتاب ، ولكن العنوان الأصلي له هو « خلاص الغنى » وقد استهوانى هذا العنوان كثيرا على أي حال ، سواء كان هذا العنوان أم ذاك ، فهو كتاب يجدر بالفهم والاستيعاب •

وقد أخذت الكنيسة على عاتقها أن تفتش عن هذه الدرر والذخائر الثمينة ، وأن تقوم بنشرها لمنفعة المؤمنين • وتتميز

هذه المنشورات عن غيرها مما نشر من أقوال آبائنا القديسين، أنها تتضمن الترجمة الكاملة والأمينة للنص الانجليزى لها مما يجعلها متعة روحية لا تقدر بثمن ومنهجا رائعا للبناء الروحى .

لينفعنا الله بهذا البحث الجميل ، حتى يترجم سلوكا مستقيما فى حياتنا ، ومنهجا قويما لأعمالنا .

والى أن نلتقى مع غيره من الآباء القديسين فى الترجمات الكاملة والأمينة لروائعهم الخالدة ، أرجو أن نذكر هذا العمل المبارك فى صلواتنا ؟

القس صموئيل وهبه

راعى كنيسة مار مينا بالمندرة ـ الاسكندرية

٧ أبيب ١٦٨٧ ش } تذكار نياحة الأنبا شنودة
١٤ يولية ١٩٧١ م } رئيس المتوحدين

مقدمة

للأب العالم القس مرقس داود

هذه عينة من كتابات الآباء الأولين الذين اشتهروا بغزارة علمهم ، والذين أغنوا المكتبة المسيحية فى العالم كله بمؤلفاتهم التى تدل على عمق روحانيتهم ، وسعة اطلاعهم ، وغزارة مادتهم .

كان اكليمنضس أحد أبطال الكنيسة القبطية فى القرون الأولى التى ازدهرت فيها الكنيسة ، ووصلت الى أوج مجدها ، ووصلت رسالة الانجيل عن طريقها الى الجزر البريطانية شمالا ، وبلاد العرب والهند وأثيوبيا جنوبا .

ولد اكليمنضس حوالى سنة ١٥٠ م وتوفى حوالى سنة ٢١٥ م . وقد تتلمذ على يدى بنتينوس الذى يعتبر من أبرز مديرى مدرسة الاسكندرية اللاهوتية . وكان بنتينوس هذا هو الذى ترجم الكتاب المقدس الى اللغة القبطية ، وهو الذى لأجل هذا الغرض استعار للغة القبطية الأبجدية اليونانية ، وأضاف اليها ستة حروف .

لما سافر بنتينوس الى الهند للكرازة فيها أناب عنه اكليمنضس لادارة مدرسة الاسكندرية ، وبعد ذلك حل محله عقب وفاته .

ولما تولى اكليمنضس ادارة هذه المدرسة « أخرجها الى نورها الكامل » كما ورد فى تاريخ الكنيسة ليوسابيوس » (٥ : ١٠) . وتتلمذ على يديه الكثيرون ، كان من أبرزهم العلامة أوريجانوس ، والاسكندر أسقف أورشليم .

كتب اكليمنضس عدة كتب خصص لها يوسابيوس فصلين فى كتابه (٦ : ١٣ و ١٤) ، علاوة على الفصول الأخرى التى تحدث فيها عن شخصيته . ومن أشهر كتبه : ثمانية كتب سماها « ستروماتا » *Stromata* تحدث فيها عن الفلسفة الحقيقية المسيحية .

كما كتب عدة كتب أخرى أهمها : وصف المناظر ، نصائح لليونانيين ، المعلم أو المربى ، الفصح ، الصوم ، الكلمات الشريرة ، الصبر ، المتعمدون حديثا ، القوانين الكنسية ، خلاص الرجل الغنى .

والكتاب الأخير هو الذى عنى بتعريبه الأخ الحبيب الأستاذ موسى وهبه ، الذى نرجو له كل توفيق فى كل نواحى نشاطه .

كتب اكليمنضس فى هذا الكتاب بتوسع عن حسن استخدام الثروة . ومن أحسن ما قاله :

« اذا أحسنت النفس استخدام المقتنيات صارت صالحة ، وان اساءت صارت شرا • فالواجب يقضى علينا اذا أن نجعد تلك الممتلكات التى تسىء الينا ، وليست تلك التى يمكننا الاستفادة منها اذا عرف الانسان الاستخدام الصحيح » •

ومما قاله عن تعريف الرجل الغنى :

« من الحق والعدل أن يوصف بالغنى ذلك الغنى فى الفضيلة ، الذى يستطيع أن يستخدم ثروته بأمانة وبر • بينما تكون الثروة وهما وخداعا لذلك الغنى حسب الجسد » •

وأرجو أن يكون هذا الكتاب بداية كتب أخرى يقوم بتعريبها الأستاذ موسى بمعونة الله وارشاده •

كما أرجو أن يتنافس اخوتنا وأبناؤنا بمالهم من مقدرة ، نحو ترجمة كتب الآباء الأولين التى تتنافس دور النشر فى الغرب نحو ترجمتها بلغاتها ونشرها ، وذلك لكى يغترف من منهلها أبناء الكنيسة ، الذين هم أولى ممن يتمتعون بها من غير أبنائها ، ولكى تخرج الى النور تلك الكنوز الغاليه من العلم والمعرفة التى نقلت من بلادنا فى أيام ضعف الكنيسة فى الأجيال الغابرة ، ولكى يظهر مقدار ما وصلت اليه الكنيسة من مجد وسؤدد فى أيامها الأولى •

ورب الكنيسة قادر أن يعيد اليها حياتها الأولى وغيرتها الأولى وقوتها الأولى •

القس مرقس داود

اكليمنضس الإسكندري

اكليمنضس الاسكندرى

١٥٣ ـ ١٩٣ أو ٢١٧ م

عندما أخذ القرن الثانى من النور المسيحى يقترب الى غايته ، لمع اسم هذا الأب العظيم ليفتتح مرحلة جديدة من مراحل تقدم الكنيسة ونموها • فقد ترك بصماته واضحة فى العالم المسيحى من بريطانيا فى الشمال حتى سهول نهر الكنج فى الهند •

وبكل ما يتميز به من شخصية شرقية فريدة ، نراه كوكبا ساطعا فى بلاد الغال (فرنسا) ويمتد نوره الى أقاليم أخرى كثيرة فى الغرب ، ومن مسقط رأسه على جبال أورنتوس *Orontes* شد رحاله وطاف مراكز الحضارة حتى وصل الى دلتا النيل واستقر فى الاسكندرية موطن أبولس الاسكندرى ، ومقر القديس مرقس ، وفيها أرسى أول قاعدة للدراسات المسيحية • وهناك تجمعت حلقات الدراسة والمناقشة ، وأضاءت مشاعل الصليب العقلية ، وفى ظلال مكتبتها الرائعة نشأت ما يمكن أن نسميه جامعة مسيحية •

ومن بساتين انا *Enua* المتفتحه ، جاء الى مدرسة الاسكندرية العلامة بنتينوس الذى يلقب بالنحلة الصقلية ،

لكى يسهم فى بناء هذه الجامعة بنشاطه الملتهب ، ويلهبها ببلاغته وحكمته • واقتفى اكليمنضس أثر ثاتيان فى أسفاره الى الشرق وانطلق فى أعقاب بنتينوس الى مصر ، وأقبل بشغفه اليونانى متعطشا الى المعرفة لكى يتتلمذ على يديه فى مدرسة المسيح • ويعتبر اكليمنضس مؤسس الأدب المسيحى بعد يوستينوس وايريناوس •

ومن الأمور الملحوظة فى انتاجه الفكرى استهلاله الرائع وهو يتناول الوثنية كعقيدة قد عفا عليها الزمن ، لا حاجة للمسيحية أن تصارعها بعد ذلك صراعا جادا ، بل بالأولى أن تهملها تماما وتشيعها الى مثواها الأخير باحتقار •

+ المسيحية والوثنية

واستعراضه القاسى لكل ما كان يسمى « أرباب كثيرون وآلهة كثيرون » يبدو لنا ـ فى الواقع ـ ضربة قاصمة تقوض أركان ذلك التراث العتيق • ولماذا لا يعفينا من ذكر مثل هذه التفاصيل ؟ اذا أمعنا النظر فيما كتب ، وتأملنا ما انطبع فينا من غرائز مسيحية رقيقة نستطيع أن نتبين أن الفضل فيها يرجع الى حد كبير الى هذا المصلح العظيم •

فهو لم يكتف بأن يعرض لنا حياة الوثنيين وجوها الذى أفسدته الأساطير والخرافات حتى أن المسيحيين أينما تلفتوا لابد لهم أن يتحققوا من وجود ذلك السوس الذى كان ينخر فى عظام المجتمع الوثنى ، بل أصبح اكليمنضس ـ بالاضافة الى استجلاء هذه الحقيقة ـ هو الفيلسوف الأخلاقى للمسيحيين •

وبينما يشرح بالتفصيل الدقيق التغير والتجديد الذى لابد للمؤمنين أن ينخرطوا فيه فيمارسوه ويخضعوا لمقتضياته حتى يهربوا من فساد العالم ، فهو يصور أيضا ـ بصفة عامة ـ الاصلاحات الجذرية العميقة التى يفرضها الانجيل على هذا المجتمع ، والتى لا يمكن الا للأنجيل أن يتيح تحقيقها للجنس البشرى • ويعلن اكليمنضس : لأنه فى نشوة لا مثيل لها ، وفى رحمة وعطف قد لمسناهما بالفعل ، قد أغدقت قوة الله بذور الخلاص على الوجود كله •

لقد تحدث سقراط وأفلاطون فى محاوراتهما الرائعة قبل ذلك بأربعمائة عام عن هذه الفضائل ، الا أن الشهوة *Lust* والتعطش الى الدماء *murder* ظلا من الآله التى تسيطر على عبادة اليونان • ولا غرو اذا كان البشر على شاكلة الآلهة التى يتعبدون لها • كان اكليمنضس ـ فيما مضى ـ داعية من دعاة هذه العبادات ، أما الآن وقد صار رسولا للمسيح ، فلابد أن تخرج منه قوة الكلمة وعمل النعمة لتسيطر على الناس والأخلاق فى فاعلية لم تخطر بأفكار الناس من قبل •

+ مدرسة الاسكندرية والعالم المسيحى

وتصبح الاسكندرية هى عقل العالم المسيحى • فقلب المسيحية كان لا يزال ينبض فى انطاكية ، أما الغرب فكان غارقا فى سلبيته ، يمد يديه وذراعيه نحو الشرق يطلب المزيد من الاستنارة • فمن الشرق أخذ الغرب الأسفار المقدسة وما يدعمها ، ومن نفس المصدر أخذ يستمد القوانين

الكنسية والصلوات الطقسية والعقيدة التى تستند الى الايمان المسيحى . وكانت اللغة اليونانية هى لغة المسيحيين فى كل مكان . ولم تعد المسيحية فى نظر الأباطرة الوثنيين الذين تعاقبوا بعد نيرون شكلا من أشكال اليهودية ، أو ديانة شرقية من خرافات الشرق بل تجلت أمامهم فى زيها وملامحها اليونانية ، فيقول أحد المؤرخين فى الغرب : كل كنائس الغرب كانت عبارة عن مستعمرات دينية يونانية ، لغة الحديث فيها هى اليونانية ، واصطبغ نظامها بالطابع الأغريقى ، كتابها وأسفارها المقدسة وطقوس عبادتها كلها باليونانية . وكانت كنائس الغرب على اتصال دائم بكنائس الشرق عن طريق اليونان . ولهذا كانت كنيسة روما واحدة فى ذلك الاتحاد الفيدرالى الذى يضم عددا من الجمهوريات الأغريقية الدينية ، كان هذا الاتحاد الفيدرالى هو الكنيسة الجامعة المقدسة .

+ دور الحضارة اليونانية فى نشر المسيحية

ومن واجب المسيحى أن يتعرف على حياة الاسكندر وسياسته ، وتاريخ الامبراطورية التى أقامها باعتبارها تمهيدا مباشرا لنشر الانجيل . فرعاية البطالسة للفنون والآداب فى الاسكندرية ، وترجمة العهد القديم من العبرية الى اللهجة الهللينية ، وابتداع صيغ جديدة وابتكار الكثير من الألفاظ المستحدثة فى اللغة اليونانية جعلت ذلك العالم الوثنى يستسيغ أفكار الايمان والحق ـ كل هذه كانت مقدمات تمهد الطريق لبشارة الإنجيل ، ولكتابة العهد الجديد الذى لالهنا

ومخلصنا ، الذى قام ـ نبويا ـ بزيارة أرض مصر وكان على الأوثان أن تزول من أمام وجهه ٠

كان لابد أن تقوم هناك مدرسة مسيحية قوية يشعر المرء بأثرها على الدوام ، فى تحديد وتعريف المفاهيم الأرثوذكسية٠ وانطلاقا من هذا العمل العظيم ، يمكننا أن ندرك معنى جديدا للنبوة القائلة : من مصر دعوت ابنى ٠

+ اكليمنضس المعلم

ان عبقرية أبولوس الاسكندرى أخذت تنتعش وتزدهر من جديد فى موطنه ، وتتابع على قيادة هذه المدرسة طائفة من الأعلام الذين كانوا على غراره : رجل فصيح مقتدر فى الكتب المقدسة (أع ١٨ : ٢٤) ٠

ويحدثنا اكليمنضس نفسه عن أساتذته فى المسيح ، عندما جاء الى بنتينوس فامتلأت روحه من ذلك الجوهر الخالد من المعرفة الالهية ٠ ويتكلم عن التقاليد الرسولية التى تسلمها عن طريق معلميه الذين لم يتخطوا الجيل الثانى بعد عصر الرسل ، فقد التقى فى تلك المدرسة ـ بلا شك ـ بالبعض ممن عاصروا تلاميذ الرسل من أمثال أغناطيوس وبوليكاربوس ٠ وربما أسعد الحظ بعضهم فى طفولتهم أن يسمعوا القديس يوحنا الانجيلى فى أواخر أيام حياته ، عندما لم يكن فى مقدوره أن يعظ الكنيسة الا بتلك الكلمات المأثورة عنه : يا أولادى أحبوا بعضكم بعضا ٠ وعلى هذا لم يجد اكليمنضس غضاضة أن يحسب نفسه فى عداد الجيل التالى للآباء الرسل الأطهار ٠

ثم صار اكليمنضس خليفة لبنتينوس فى قيادة حلقات المناقشة والدرس ، وانتظم فى سلك تلاميذه أوريجانوس وغيره من النوابغ الأفذاذ . وفى هذه الأثناء تم اختياره وسيامته قسيسا .

ويبدو أنه بدأ فى تأليف كتابه المتفرقات *Stromata* أثناء حكم كومودوس *Commodus* وسيفيروس *Severus* ؛ فاذا اعتبرنا أنه كان فى سن الأربعين فى ذلك الحين فلابد أن يكون تاريخ ميلاده منحصرا فى أيام انطونيوس بيوس ، كما كان القديس بوليكاربوس على قيد الحياة ، وكان يوستينوس وايريناوس فى أوج شهرتهما .

ويتحدث الاسكندر أسقف أورشليم بدوره عن أستاذه اكليمنضس فيقول : اننا نضع فى منزلة الآباء أولئك القديسين المباركين الذين سبقونا ولابد لنا أن نتبعهم بعد قليل . وأقصد بالذات المطوب بالحقيقة بنتينوس ومعلمى القديس اكليمنضس الذى انتفعت منه كثيرا كما كان لى معينا عظيما . ويقول عنه كذلك القديس كيرلس الاسكندرى : انه رجل ضليع غزير العلم الى حد يدعو الى الاعجاب ، سبرغور الثقافة اليونانية وأحكم دراستها الى درجة يندر أن يجاريه فى مضمارها أحد . ويشهد ثيئودورس أن اكليمنضس يفوق كل من عداه من حيث المعرفة فضلا عن تقواه وقداسته . ويؤكد ايرونيموس أنه من أكثر الآباء علما ، بينما يسجل يوسابيوس اعترافه بأن انجازات اكليمنضس فى الأبحاث اللاهوتيه تجعل منه أستاذا فى الفلسفة المسيحية لا نظير له .

+ مدير المدرسة اللاهوتية

واليك ما أورده يوسابيوس عن هذا الفيلسوف العظيم :

فى نهاية القرن الثانى المسيحى كان على رأس المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية ، الفيلسوف الذائع الصيت تيتوس فلافيوس اكليمنضس الذى كان فى الأصل فيلسوفا وثنيا . أما عن تاريخ مولده فهو غير معروف بالضبط ، كما لا يمكننا أن نجزم بمكان ميلاده ان كان فى الاسكندرية أو أثينا .

وعندما اعتنق المسيحية أخذ يسعى فى طلب المعرفة الالهية فى شغف ، على أيدى معلميها العظام . ومن أجل هذا الغرض قام برحلات واسعة النطاق جاب فيها آفاق اليونان وايطاليا ومصر وفلسطين وغيرها من بلدان الشرق .

ومن الصعب أن نحدد هؤلاء المعلمين ، الا أن هناك واحد من هؤلاء الفطاحل أشار اليه اكليمنضس فى كتابه المتفرقات *Stromata* ويبدو أن السبب فى ذلك أنه بدأ فى تأليف هذا الكتاب أثناء حياة أستاذه العظيم بنتينوس *Pantaenus* الذى يتحدث عنه فى احترام عميق ويصفه بأنه أعظم أساتذته .

وعندما عاد اكليمنضس من رحلاته ، خلف أستاذه بنتينوس فى رياسة المدرسة اللاهوتية لأنه غادر الاسكندرية فى بعثة تبشيرية الى الشرق حوالى سنة ١٨٩ م . وفى ذلك الوقت أو بعده بقليل تمت سيامته كاهنا .

وقد ظل يعلم بنشاط ظاهر حتى سنة ٢٠٢ م عندما

أضطره الاضطهاد الذى شنه الامبراطور سيفيروس الى مغادرة الاسكندرية . وفى بداية حكم كاراكالا *Caracalla* نجده فى أورشليم التى كانت ـ حتى فى ذلك الوقت العصيب ـ موئلا وملاذا للحجاج المسيحيين خصوصا من رجال الاكليروس . ثم نسمع عنه أيضا مسافرا الى انطاكية مزودا برسالة تزكية أو توصية من الاسكندر أسقف أورشليم .

أما الفترة الأخيرة من حياته فهى حقبة يشوبها الغموض وليست لدينا أية تفاصيل عنها . ويرجح أنه مات حوالى سنة ٢٢٠ م.

تلاميـذه :

ومن تلاميذه المبرزين العلامة أوريجانوس خليفته اللامع فى عمادة مدرسة الاسكندرية ، والاسكندر أسقف أورشليم ويقول الكردينال بارونيوس أن من تلاميذه أيضا كومبيفيسيوس *Combefisius* وبول *Bull* وهيبوليتوس *Hippolytus*

وهذا تقريبا هو كل ما أمكن الوصول اليه عن حياة اكليمنضس .

كتاباته :

أما عن مؤلفاته فتعتبر من روائع الفكر والأدب ، الذى خلفته لنا الكنيسة فى التقليد . ولا شك أن معظم هذه الدرر الخالدة تنتمى الى تلك الحقبة المبكرة من تاريخ الكنيسة المجيد.

ومن أشهر ما كتب اكليمنضس : بشارة الى الوثنيين ، المربى أو المعلم ، وكتابه المتفرقات الذى أشرنا اليه من قبل .

والهدف الذى يرمى اليه من كتابه **بشارة الى الوثنيين** هو اجتذاب الوثنيين الى الايمان المسيحى . ويبدأ هذا الكتاب باستعراض الاستهتار والفجور القبيح الذى تطفح بهما الوثنية . ثم يضع فى مقابل ذلك تعاليم الحق كما جاءت فى الكتب المقدسة ، وكما أعلنها الله الحقيقى فى شخص المسيح كلمة الله الحى مخلص البشر . ولا شك أن الكتاب تحفة أدبية رائعة تحفل بالتلميحات والاشارات الكلاسيكية ، كما تحفل بالاقتباسات من شعر الفحول القدامى ، وتنبض سطور هذا الكتاب بروح الفلسفة جنبا الى جنب مع روح الانجيل . كل هذا فى عبارة قوية وأسلوب جذاب رصين .

أما **المربى** فكان موجها الى المؤمنين الذين نفضوا عن أنفسهم ظلمة الوثنية وفسادها . وفى هذا الكتاب نجد عرضا للأخلاق والآداب المسيحية ، كما نجد فيه مرشدا لتكوين الشخصية المسيحية ونموها فضلا عن الأسلوب النموذجى لممارسة الحياة المسيحية . ويتكون هذا الكتاب من ثلاثة أجزاء ينتظمها جميعا هدف واحد وعظيم ، هو وضع ربنا يسوع المسيح نموذجا ومثالا يحتذيه المؤمنون جميعا باعتباره المعلم الوحيد . وقد استلزم هذا شرح المبادىء التى تقوم عليها التربية المسيحية من الناحية النظرية ومن ناحية التطبيق العملى أيضا .

ففي الجزء الأول يعرض لنا شخصية المعلم الصالح ووظيفته ووسائله وطرقه وأهدافه • فالمعلم هو كلمة الله ، وفي محبته الكاملة مستند الى صلاحه وعطفه وحكمته وأمانته وبره •

أما في الجزئين الثاني والثالث فيضع القوانين التي تنظم حياة المسيحي في كل علاقاته وظروفه وأفعال حياته لا يترك فيها شاردة أو واردة ، بل يتناول معظم التفاصيل مهما كانت دقيقة : ملابسه •• طعامه وشرابه •• نومه واستحمامه •• الخ • ويحرص على تحديد الحياة من جميع الوجوه والزوايا بحيث تتفق مع الكلمة، وتصبح حياة مسيحية صادقة• وقد يبدو للبعض أن هذا الأمر لم تعد تحتمه ضرورة لأن الانجيل قد قام بالفعل بتغيير الحياة الاجتماعية والفردية تغييرا كاملا، وترك بصماته واضحة في كل اتجاهات الحياة • الا أن هذا التحديد ـ من ناحية أخرى ـ قد يؤخذ دليلا على سيطرة الروح النسكية • وأيا كان الرأي فلا شك أن وضع القواعد والقوانين المنظمة للسلوك المسيحي والأخلاق المسيحية كان في ذلك الوقت ضرورة ملحة يلتمس معرفتها أولئك الذين اعتادوا وتميزت أخلاقهم بطابع الوثنية بما تؤدي اليه من انحطاط السلوك وفساده• وكان هؤلاء ـ بعد ايمانهم بالمسيح ـ يسعون ويحاولون جادين الى تنظيم حياتهم وتشكيلها بما يطابق حق الانجيل ، رغم أنهم كانوا ما زالوا يعيشون في وسط استشري فيه الانحلال بصورة لا يستطيع معها العقل أن يتوقع له الشفاء منه •

انى أشعر أننا في حاجة الى تجديد هذه المبادىء، والرجوع

الى ذلك المعلم العظيم حتى نستهدى فلسفته ومعرفته العميقة بالملك المسيح لكن نعيد النظر فى أسلوبنا فى التربية فى هذا العصر • اننا فى حاجة الى مزيد من الدخول الى أعماق الكلمة حتى تتأصل فينا روح الشهادة وتصبح كلمة المسيح هى الجوهر الخالد الذى تندرج تحته حياتنا كلها •

أما كتابه الثالث **المتفرقات** فهو مجموعة من المقالات والأبحاث عن الفلسفة الحقيقية ، ويرمى من وراء ذلك الى الرد على الفلسفة الغنوسية • ولما كانت الغنوسية تعنى ـ لغويا ـ المعرفة بالله فهو يريد أن يضع تعريفا للغنوسى الحقيقى ، وكيف يتكون هيكله الفكرى وفلسفته التى تستند الى الايمان وفى نفس الوقت يهدف الى قيادة المؤمن الى صيغة حياته على هدى مبادىء المربى ، حتى ينمو الى معرفة أسمى وأرقى •

ويتكون هذا الكتاب من ثمانية أجزاء فقد ـ للأسف ـ الجزء الأخير منها • وفى هذه الأجزاء يكتب اكليمنضس عن تأملاته وانطباعاته عن الفلاسفة اليونانيين والهراطقة كما يتحدث عن أفكاره عن ملامح وسمات الغنوسى الحقيقى • وفى معرض هذا الحديث كان لا بد أن يكتب عن تأملاته فى فقرات من الكتاب المقدس • ويخلص من هذا كله الى أن الكتاب المقدس هو مصدر المعرفة المسيحية فى أرقى وأكمل صورها ، فيه نجد البذور الأولى للحق مما استلهمته الفلسفة اليونانية وعلى رأسها أفلاطون • وهو يصف الفلسفة على أنها ترتيبا الهيا لاعداد اليونانيين للايمان بالمسيح ، تماما كما كان الناموس

بالنسبة للعبرانيين . ولهذا فهو يؤكد أهمية الدراسات الفلسفية والأدبية للوصول الى المعرفة المسيحية . لقد كرر رأيه مرارا فى أن الحقيقة يمكن أن توجد فى كل ألوان الثقافة، بعد أن نجردها من الأخطاء والنقائص . أما الحق كاملا متكاملا فلا يمكن أن نجده الا فى شخص المسيح الذى منه تنتشر كل صور الحق فى كل الثقافات على اختلاف ضروبها وتباين مناهجها .

وعدا هذه الكتب فهناك تلك الرسالة الشيقة **خلاص الغنى** التى يحاول فيها اكليمنضس أن يرد على التفاسير المنحرفة التى دارت حول كلمات المسيح للشاب الغنى . لقد درج الكثيرون على استغلال هذه الكلمات فى الدعوة الى جحد الثروة العالمية وانكارها تماما . ولكن اكليمنضس يوجه النظر الى الدخول فى عمق الكلمة لادراك الحقيقة التى تتلخص فى أن اتجاهات النفس وميول الروح هى الأسس الجوهرية التى يعول عليها فى خلاص نفس الانسان .

وهناك مؤلفات أخرى لهذا الفيلسوف العظيم ، بعضها لم يبق منه سوى مقتطفات ، والبعض الآخر فقد مع مرور الزمن . وقد أمكن للباحثين أن يتلمسوا أسماءها من الاشارات التى وردت عنها فى كتاباته الباقية . ومن هذه المؤلفات المفقودة تأملات فى الرسائل الجامعة ، مختارات من أسفار الأنبياء ، العناية الالهية ، تفسير سفر عاموس ، رسالة عن الفصح ، فى الكلام الردىء ، مناقشة حول الصوم ، الحث على

الصبر أو رسالة الى المعتمدين حديثا ، القانون الكنسى أو ضد المتهودين ، وغير ذلك من الدراسات .

نسأل الله القدير أن يعطينا فهما، واستنارة الروح القدس حتى نعرف قوة الكلمة وعمق المعرفة كما عاش فيها هذا العالم الكنسى الكبير ، وكما أرادها هو أن تكون طابعا لحياة المؤمنين جميعا حتى يتشكلوا على صورة السماوى ، بتجديد أذهانهم فلا يشاكلوا هذا الدهر ، بل يتجدد انسانهم الداخلى يوما فيوما متقدمين فى النعمة والقامة الى قامة ملء المسيح ، الذى له المجد الى الأبد آمين .

خلاص الغنى

رفع الله

٢ ـ غرور الغنى

من الناس من يغدق المديح على الأغنياء بمناسبة وبغير مناسبة ، وهؤلاء ـ فيما يبدو لى ـ يستحقون ما يوصمون به من التملق والانحطاط لأنهم يتظاهرون بالرضى البالغ عن كل ما يأتيه أولئك من أفعال حتى وان كانت غير لائقة ، هؤلاء ليسوا من ذوى الزلفى والدناءة فحسب ولكنهم أيضا مملوءون من كل غش ، بعيدون عن التقوى . واذا قلنا أنهم ليسوا أتقياء فلأنهم يهملون تقديم السبح والتمجيد لله ، الذى هو وحده الكامل الصالح الذى منه وبه وله كل الأشياء (رو ١١ : ٣٦) فضلا عما يكيلونه من الألقاب الالهية على هؤلاء البشر المنغمسين فى حياة الشر والدنس ، ناهيك عن الدينونة العادلة التى يتعرضون لها بسبب أعمالهم. وأصفهم بالنفاق والغش لأنه رغم أن المال فى حد ذاته كفيل بأن ينفخ ذويه ويفسد أرواحهم ويحولهم عن طريق الخلاص ، فهم لا يكتفون بهذا بل يثبطون همم الأغنياء عن طلب الخلاص لأنهم يشبعون كبرياء العقل بالتلذذ من سماع المديح ، كما أنهم ـ بطريق غير مباشر ـ يحضونهم على احتقار كل شىء الا المال والثراء ، الذى يحيطهم بمظاهر الاعجاب والرفعة . وهكذا نجد أن جماعة المتملقين ـ كما يقول المثل ـ يزيدون

النار ضراما ، فيضيفون الى الكبرياء فخرا متزايدا ، والى الغنى غرورا وتعاظما • وكل هذا يزيد الأحمال الثقيلة التى تحط على أكتافهم ، والتى كان يجب أن يتخففوا من عبئها ونيرها لأنها لا تخرج عن كونها مرضا خطيرا قاتلا • فكل من ينتفخ ويتعالى لابد أن يتهدده خطر السقوط فى هوة الأصحاب، وهذا ما تعلمنا اياه كلمة الله • كان الأجدر بهؤلاء الأصحاب، بدلا من الملق الرخيص ، وامتداح أعمال الشر ، أن يحثوهم على السعى الى خلاص أنفسهم بكل ما فى طاقتهم من قوة • فليس هذا من أعمال الحق فحسب بل اعتقد أيضا أنه من أعمال الرحمة • ان الواجب الايمانى يقضى عليهم أن يطلبوا بلجاجة ويصلوا من أجل هذا الأمر واثقين فى كثرة مراحم الله أن ينعم ببركات الخلاص على بنيه • وهكذا بنعمة المخلص يقدمون البرء والشفاء لأرواحهم ، اذ يقودهم الروح بنوره الى معرفة الحق • ومن يبلغ هذه المعرفة ، مع السلوك فى أعمال صالحة فلا بد أن ينال المجازاة بالحياة الأبدية • والصلاة التى يصل مداها الى آخر أيام العمر تحتاج الى الروح القوى الهادىء وكذلك ممارسة الحياة تحتاج الى الميول الطاهرة النقية وهذه بدورها تتجلى فى طاعة كل وصايا المخلص •

+ + +

٢ ـ أوهـام

وهناك أكثر من سبب يبدو لأجله أن خلاص الأغنيـاء مطلب صعب المنال ، أو على الأقل أعسر من خلاص الفقراء • فالبعض يستمع دون مبالاة أو تقدير للنتائج الى قول المخلص: دخول جمل من ثقب ابرة أيسر من دخـول غنى الى ملـكوت السموات (مت ١٩ : ٢٤) ودون دراسة أو تعمق ، يشيع فى نفوسهم اليأس من بلوغ هذا الخلاص ولا أمل لهم فيـه لأنهم خابوا من الحيـاة • ونتيجة لهـذا يستسلمون بكليتهم للعالم ، ويتعلقون بالحياة الحاضرة اذ يرون أنها هى وحدهـا نصيبهم فيوغلون فى الانحراف عن طريق الحيـاة الأبدية • **وفى يأسهم لا يطلبون المعرفة ، ولا يفتشون عن المعنى الذى يرمى اليه السيد والمعلم وهو يشير الى الأغنياء • ولا يحاولون ادراك غير المستطاع لدى الناس وكيف يصبح مستطاعا عند الله** •

الا أن هناك فريق من الأغنياء يدرك هذه الأمور ادراكا صحيحا دقيقا • ولكنهم يتهاونون فى أمر خلاصهم ، ولا يحاولون الاستعداد اللائق الذى يكفل لهم بغيتهم ورجاءهم • ولا يسعنى هنا الا أن **أجزم بضرورة هذا الجهاد لذوى الأموال ممن عرفوا قوة المخلص ومجد خلاصه** • أما اذا كان هناك من يجهل الحق أو يتجاهله فلا شأن لى به •

+ + +

٣ ـ الباب المفتوح

ولكنى لا أنسى فى هذا المجال أولئك الاخوة الذين امتلأوا من محبة الحق ومحبة الأخوة لانهم ـ من ناحية ـ لا يترفعون على هؤلاء الأغنياء فى كبرياء وغطرسة ، ومن ناحية أخرى لا يتقربون اليهم بالزلفى من أجل غرض شرير • وانى أدعو هؤلاء الاخوة أن يستعينوا بالكلمة فى اشاعة السلام فى قلوب الأغنياء وطرد روح اليأس والفشل الذى يسيطر عليهم على غير أساس صحيح ، فيفسروا لهم ما غمض عليهم من معانى أقوال السيد حيث أن ملكوت السموات ليس محرما عليهم اطلاقا ما داموا يحرصون على حفظ وصايا الرب ، وينزعون من قلوبهم كل خوف حيث لا يوجد ما يبرره **لأن السيد يسره ويفرح قلبه أن يقبلهم فى ملكوته على شرط ••• أن يريدوا هم أنفسهم ذلك أولا •**

وبالاضافة الى ماسبق ، على هؤلاء الاخوة أن يرشدوا الأغنياء الى طريق الحياة الذى يحقق رجاءهم وأن يكشفوا لهم كيف يصلون اليه وبأى الأعمال وميول القلب ونياته • وهذه وان كانت فى متناول أيديهم الا أنها لا يمكن أن تتحقق دون مجهود يبذل ، ودون مثابرة على هذا الجهاد • وهذا هو شأن الرياضيين مع الفارق بين الأمور الصغيرة الوقتية وبين الأمور المجيدة الباقية •

وهكذا ينبغى أن يدرك كل الذين وهبهم الله ثروة أرضية أن موضوع خلاصهم يتوقف على أنفسهم • بعض الرياضيين

لا يطلب ادراج اسمه فى قائمة المتسابقين والمتنافسين لأن قلبه امتلأ باليأس من الفوز والحصول على الاكليل . والبعض الآخر يتطلع الى الفوز الا أنه لا يمارس الواجبات التى يتعين أداؤها ، ويتغافل عن الطعام الذى يناسبه ، ولا يزاول التداريب التى تحفظ له كفاءته . مثل هذا لا يمكن أن يتوج ولابد أن يفشل فى الوصول الى غايته . هكذا أيضا ينبغى على الغنى ألا يعتبر نفسه من البداية مستبعدا من قائمة المفربين الذى كتبت أسماؤهم فى سفر المخلص ، وهذا لايتأتى الا اذا كان مؤمنا يدرك اتساع محبة الله وأعماقها . وفى نفس الوقت لا يجب أن يتطرق الى ذهنه أن فى مقدوره أن يحصل على أكليل الحياة والخلود دون جهد أو جهاد ، فيواصل مسيرته فى الحياة بلا صراع أو تدريب .

لابد له أن يتقدم وأن **يضع نفسه تحت نير « الكلمة »** لكى يدربه ويرشده ، **ويخضع لقيادة المسيح** حتى يسيطر على ميدان جهاده ، وعليه أن **يلتمس طعامه وشرابه الحى من العهد الجديد لالهنا . أما مجال التدريب فليكن الوصايا ، وللزينة والبهاء لابد أن يقتنى الميول الطاهرة** ، المحبة والايمان والرجاء ومعرفة الحق ، والرفق والوداعة والرحمة والوقار حتى اذا ما بوق البوق الأخير فى السباق وآن وقت الرحيل من هنا حيث ملعب الحياة ، يستطيع هذا المجاهد بضميره الصالح أن يتقدم غالبا منتصرا أمام الديان الذى يهب المجازاة شاهدا له بالاستحقاق لكى يدخل الوطن السمائى بالأكاليل يحف به هتاف الملائكة .

+ + +

٤ ـ ماذا يقول الأنجيل ؟

أما وقد بدأنا الموضوع من هـذه النقطة ، فانى أسـأل المخلص أن يمنحنى نعمة حتى أقدم للاخوة ما هو حق وما هو لائق ، وما يؤدى الى خلاص أنفسهم ، فنتناول الرجاء نفسه أولا ، ثم الوسائل المؤدية الى تحقيق هذا الرجاء • لأن الرب ـ حقا ـ يعطى من يسأل ، ويعلم من يطلب ، فيبـدد الجهل وينتزع اليأس • ولهذا أقدم كلمات الانجيل عن الغنى مرة أخرى وسوف نرى أنها تفسر نفسها بنفسها بما لا يدع مجالا للخلط أو الخطأ • ولا يوجد ما يعادل الاستماع الى نفس العبارات التى جاءت فى الانجيل وملأت كثيرين بالحزن حتى الآن اذ أصغوا اليها دون امعان النظر فى كلماتها ولم يدركوا مرماها مما جعلهم لا يأخذونها مأخذ الجد والالتزام •

وفيما هو خارج الى الطريق، ركض واحد وجثا له وسأله: أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحيـاة الأبدية ؟ فقال لـه يسوع : لماذا تدعونى صالحا ؟ ليس أحد صالحا الا واحد وهو الله • أنت تعرف الوصـايا • لا تزن • لا تقتل • لا تسرق • لا تشهد بالزور • لا تسلب • أكرم أباك وأمك ؟ فأجاب وقال له : يا معلم هذه كلها حفظتها منذ حداثتى • فنظر اليه يسوع وأحبه • وقال له : يعوزك شىء واحد • اذهب بع كل ما لك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء ، وتعال اتبعنى حاملا الصليب • فاغتم على القول ومضى حزينـا لأنه كان ذا أموال كثيرة •

فنظر يسوع حوله وقال لتلاميذه : ما أعسر دخول ذوى الأموال الى ملكوت الله • فتحير التلاميذ من كلامه • فأجاب يسوع أيضا وقال لهم : يا بنى ما أعسر دخول المتكلين على الأموال الى ملكوت الله • مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غنى الى ملكوت الله • فبهتوا الى الغاية قائلين بعضهم لبعض : فمن يستطيع أن يخلص • فنظر اليهم يسوع وقال : عند الناس غير مستطاع ولكن ليس عند الله لأن كل شيء مستطاع عند الله •

وابتدأ بطرس يقول ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك• فأجاب يسوع وقال : الحق أقول لكم ليس أحد ترك بيتا أو اخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة او اولادا او حقولا لأجلى ولأجل الانجيل الا ويأخذ مائة ضعف ، الآن فى هذا الزمان بيوتا واخوة وأخوات وأمهات وأولاد وحقولا مع اضطهادات ، وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية • ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين والآخرون أولين (مر ١٠ : ١٧ - ٣١) •

+ + +

٥ ـ أدخلوا الى العمق

هـذا النص ورد فى انجيـل معلمنا مرقس ، وفى بقيـة الأناجيل جاء ما يتفق مع هذا النص ، وان كان هناك بعض الاختلافات الطفيفة الا أنها تفصح عن اتفاق كامل فى المعنى ٠

ونحن نعلم جيدا أن المخلص لا يعلمنا شيئا بطريقة بشرية محضة ، ولكنه يعلم خاصته كل الأشياء بحكمة خفية سمائية٠ لهذا لا ينبغى أن ننصت الى أقواله انصاتا حسيا فحسب ، بل بالحرى بالفحص والتدقيق الواجبين وباعمال العقل حتى يمكنا أن نحيط بالمعنى المخبوء فيها فنتعلمه ٠ حتى المبادىء والتعاليم التى قد يبدو أنها عرضت على التلاميذ بطريقة مبسطة عـلى لسان المخلص نفسه ، نرى أنهـا خليقة بالعنـاء والجهد فى دراستها ، بل لعلها تحتاج الى روية وعناية أكثر من التعاليم التى صيغت فى رموز أو أمثال وذلك بسبب عمق وغنى الحكمة الفائقة التى تندرج فى طياتها ٠ ومع أن هنـاك من الأقوال ما نعتقد أن المخلص قد شرحه للذين دخلوا الملكوت ، الذين دعاهم أبناء الملكوت ، الا أنها ـ مع ذلك ـ تحتاج الى تحليل وتدقيق يفوق ما يبدو أنه قيل ببساطة حتى كفى السامعين مشقة السؤال والاستفسار٠ وحيث انها تختص بخطة الخلاص الـكاملة فلابد من التأمل فيهـا بعمق ذهنى علوى عجيب ٠ ولهذا أيضا يجب ألا نتلقى مثل هذه التعاليم ونأخذها بطريقة سطحية فجـة بل يجب أن نتناولهـا بالدرس والتمحيص ، باخضاع العقل واستئساره لروح المخلص حتى نتبين المعـنى والمرمى الذى يضمره المثل فضلا عما كشفه بالتصريح ٠

٦ ـ نظرة أولى !

السؤال الذى وجه الى الهنا ومخلصنا سؤال وجيه يليق به ، سؤال عن الحياة موجه الى الحياة نفسه ، وعن الخلاص الى المخلص نفسه ، والى المعلم الصالح عن المبادىء الرئيسية التى يكرز بها ويبشر ، والى الحق عن الخلود الحقيقى ، الى الكلمةعن كلمة الآب ، الى الكامل عن الراحة الكاملة ، والى الأبدى عن الحياة الأبدية الحقيقية ـ لقد سئل المخلص عن هذه الأمور ، التى من أجلها ، أخلى نفسه من مجد السماء ونزل على الأرض، والتى يغرسها فى النفوس بالخدمة والتعليم المتواصلين ، التى يعلمها ويفصل حقائقها حتى يظهر جوهر الانجيل انه هبة الحياة الأبدية • فقد سبق أن رأى مقدما كاله هذا السؤال مطروحا عليه ، وعلم الاجابة التى تراود ذهن كل واحد فى هذا الصدد • وهذا العمل خليق بنبى الأنبياء ورب كل الأرواح النبوية •

واذ دعى صالحا ، أمسك المخلص طرف الخيط من هذا التعبير ، فابتدأ تعليمه بتحويل نظر السائل الى الله الصالح وواهب الحياة الأبدية ومبدئها الوحيد • هذه الحياة التى أخذها الابن ليعطيها ايانا أيضا •

+ + +

٧ ـ الحيـــاة

من أجل ذلك ، يجب أن نغرس فى أعماق الروح جوهر التعليم الذى يخص الحياة وذلك من البدء • وهذا الجوهر هو معرفة الله الحى الى الأبد ، واهب كل ما هو أبدى • وعن طريق المعرفة والفهم يستطيع الانسان أن يقتنى الله نفسه الذى هو الأول والآخر ، الأعلى والواحد الوحيد الصالح • **فمعرفة الله هى مصدر الحيـاة ودعامتها التى لا تتغير ولا تتحـول** • والله موجود حقيقى ، وهو الذى يعطى المواهب والعطايا الحقيقية أى الأشياء الأبدية ، منه تستمد جميع الكائنات وجودها وبقاءها • **اذاً فالجهل بالله هو الموت ، بينما معرفته والتجاوب معه ومحبته ومشابهته هى وحدها الحياة** •

+ + +

٨ ـ طريق الحيـــاة

اذاً ، فمن يريد أن يمارس الحيـاة فى جوهرها وعمقهـا فلا بد له أن يعرف الله • ولا يستطيع أحد أن يعرفه الا من أراد الابن أن يعلنه له (مت ١١ : ٢٧) وهذا يؤدى به الى ادراك عظمته المخلص وجدة النعمة المعطاة ، التى أعرب عنها الانجيلى بقوله : لأن الناموس بموسى أعطى ، أمـا النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا (يو ١ : ١٧) فليس من المعقول أن تتساوى البركات التى نحصل عليها عن طريق الخادم مهما كانت أمانته ، بالنعم والعطايا التى يهبها الابن الحقيقى •

فلو كان ناموس موسى كافيا للحصول على الحياة الأبدية ، لا نتفى الغرض من مجيء المسيح نفسه ومن آلامه وهو يجوز الحياة البشرية من الميلاد حتى الصليب ، ولما كانت هناك حاجة بذلك الانسان الذى تمم جميع وصايا الناموس منذ حداثته أن يركض وأن يجثو على ركبتيه سائلا عن طريق الحياة الأبدية • وهو لم يحفظ الناموس فحسب ، بل قام بذلك منذ حداثته المبكرة • **فالجمال والبهاء ليس فى الشيخوخة التى لا تصنع اثما ، بقدر ما تكون فى الرجل وهو فى قوة الشباب والتهاب الحداثة والصبا ومع ذلك يبدى نضوجا وتعقلا يفوقان هذا السن** • هذا الشاب حقا هو البطل الجدير بالاعجاب لأنه يتميز برجاحة العقل •

ومع كل هذا ، فقد يقتنع مثل هذا الشاب الغنى أنه لا يعوزه شيء من جهة البر ، أما من جهة الحياة فقد أحس يقينا أنه محروم منها • ولذا نراه يلجأ الى المخلص الذى وحده يستطيع أن يهب الحياة • كما نلاحظ أن الشاب يتحدث بثقة عندما يشير الى وصايا الناموس ، ولكنه عندما يخاطب ابن الله نجده يسأل ويتضرع وهكذا ينتقل من ايمان الى ايمان • بعد أن أحس بخطر الاتكال على الناموس ، يهرع الى حضن المخلص حيث يستطيع أن يجد فيه حصنا وملجأ •

+ + +

٩ ـ من أكمل الناموس ؟

ونلاحظ أن يسوع لا يتهمه بالنقص من حيث الوفاء بمطالب الناموس جميعها بل يحبه ، وفى حنانه يرحب بطاعته للتعليم الذى تلقاه ، ولكنه يعرفه أنه لم يصل الى الكمال فيما يختص بالحياة الأبدية بقدر ما عجز عن أدائه فى صفات الكمال . فهو يقول له أنه بالحقيقة متمم لوصايا الناموس ولكنه متخلف عن الحياة الحقيقية : ولا شك أن الناموس صالح ، ولا يستطيع أحد أن ينكر ذلك لأن الوصية مقدسة (رو ٧ : ١٢) بقدر ما يصاحبها ذلك النوع من التدريب والاستعداد المنتظم الذى يؤدى الى روح الناموس والى النعمة (غل ٣ : ٢٤) .

أما المسيح فهو كمال الناموس للبر لكل من يؤمن به ، ليس كعبد يهيىء عبيدا ، بل يأتى بأبناء وأخوة وارثين معه لأنهم يعملون مشيئة الآب .

\+ + +

١٠ ـ الحاجة الى واحد

« ان أردت أن تكون كاملا »

ومعنى هذا أنه لم يكن بعد كاملا ، وليس هناك أكمل بالنسبة للكامل .

والتعبير الالهى « ان أردت » يكشف عن اصرار النفس التى تواجهه ، **لأن الاختيار يعتمد على الانسان من حيث**

الارادة ، ولكن الموهبة والنعمة فتعتمد على الله من حيث هو السميد ، الذى يعطى المريدين والمشتاقين الذين يسألون ويثابرون حتى يتم خلاص أنفسهم ٠

والله لا يرغم أحدا لأن الجبر ليس من مشيئة الله ، ولكنه يعطى من يسأل ويغمر بالخيرات من يطلب ويفتح كوى السموات لمن يقرع ٠ فان أردت ـ أى ـ ان كنت تريد حقا ولا تخدع نفسك فخذ حاجتك ٠ وما يعوزك هو شىء واحد ٠ الشىء الوحيد الباقى أمامك ، الصلاح الذى يفوق الناموس ، ولا يستطيع الناموس أن يتضمنه أو يعطيه ٠ هذا الشىء هو الامتياز الذى يناله بنو الملكوت ٠ وحقيقة الأمر أن الانسان الذى حقق مطالب الناموس جميعا منذ حداثته ، وامتدحه الناس فى كل أعماله الصالحة ، هذا الشاب لم يستطع أن يكمل الكل بتحقيق الشىء الوحيد الذى طلبه منه المخلص بصفة خاصة ، بل ـ على العكس من ذلك ـ مضى حزينا متبرما من وصية الحياة بسبب الأفكار التى كانت تدور فى مخيلته ٠ انه لم يكن ساعيا الى الحياة فعلا كما يبدو من سؤاله ، بل لعله كان يهدف الى الشهرة أو الصيت الحسن على أساس أنه أحسن الاختيار ٠ كان فى متناول يده أن يرتبك بأمور كثيرة ، ولكنه فى نفس الوقت رفض أن يقوم بالشىء الوحيد الذى طلب اليه أن يعمله من أجل الحياة الأبدية ، بل ولم تتوفر لديه الرغبة فى أدائه وبالتالى عجز عن انجازه ٠

هذا بالضبط ما قاله السيد لمرثا التى شغلت بأمور متعددة وارتبكت بالخدمة وأخذت تلوم أختها لأنها تركت الخدمة وربضت عند قدمى المخلص حتى تكرس وقتها كله للتعلم • وقد قال الرب لمرثا : أنت تهتمين بأمور كثيرة ، ولكن مريم اختارت النصيب الصالح الذى لن ينزع منها (لو ١٠ : ٤١ ـ ٤٢) • **وبنفس الأسلوب أمر المخلص ذلك الشاب أن يترك حياته المهمومة ، ويرتبط به وحده ، ويلتصق بنعمته المخلصة لأنه هو واهب الحياة الأبدية •**

+ + +

١١ ـ الوصية

ترى ما الذى دفع هذا الشاب الى الهرب ، وجعله يمضى بعيدا عن المعلم ، ويلقى وراء ظهره تلك الطلبة التى تقدم بها عن الرجاء والحياة ، بينما كان يلتمس معرفتهما بحرارة من قبل ؟

« بع كل ما تملك » وماذا فى هذا الأمر ؟ انه لا يأمره ـ كما يظن البعض لأول وهله ـ بأن يلقى عنه كل حاجاته المادية التى يمتلكها أو يهجر ممتلكاته ؛ ولكنه ـ فى الواقع ـ **يدعوه الى اقصاء كل الميول نحو المال وطردها من نفسه ومن روحه • انه يدعوه الى انتزاع ذلك القلق والشعور المقبض الذى يصاحب الأموال ، تلك الهموم التى تلتف حوله كالأشواك فتخنق بذور الحياة** ، وذلك لأن الحرمان من الأموال لا هو بالهدف العظيم ولا هو أمرا مرغوبا فيه فى ذاته ، اذا لم

يكن هناك هدف خاص من وراء ذلك ، وبشرط ألا يكون هذا الحرمان على حساب الحياة نفسها .

كثيرون محرومون من الغنى : الذين لا يملكون شروى نقير ... المعدمون الذين يلتمسون خبز يومهم ... المتسولون المنتشرون على قارعة الطريق . ولكن هل كان افتقارهم الى أبسط الأشياء ، وحرمانهم من الغذاء وحاجتهم الماسة ، هل هذه كلها أتاحت لهم معرفة الله وبر الله ؟ هل نالوا البركة العظمى وصاروا محبوبين عند الله واقتنوا الحياة الأبدية ؟!

وفى نفس الوقت ، هناك من جحد الغنى وأنكر الأموال قبل بشارة الانجيل فليس بالشيء الجديد - اذا - أن نوزع أموالنا على المحتاجين والفقراء فكثيرون فعلوا هذا قبل مجيء المخلص ؛ بعضهم بسبب السلام العقلى الذى توفر لهم بفضل علو كعبهم فى المعرفة ، والبعض الآخر بسبب الحكمة العالمية ، وآخرون سعيا وراء المجد الباطل والشهرة الجوفاء كما فعل أتباع « أنكسا جوراس وديموقريطس وكريتس » . فهؤلاء الذين ارتضوا لأنفسهم هذا الحرمان الارادى من الأموال ، هل أدى بهم ذلك الى طريق الحياة الأبدية ؟!

+ + +

١٢ - روح الوصية

فلماذا - اذا يأمره بما لم يكن سبب خلاص للقدماء ، ويوصيه بهذا الأمر وكأنه وصية الهية جديدة ، وكأنها هى

وحدها التى تمنحه الحياة ؟ لا شك أن هناك أبعادا أخرى للوصية ومعنى خاصا يريد ابن الله الخليقة الجديدة ، أن يفضى به الينا ويعلمه ايانا • انه لا يقصد ذلك التصرف السطحى الذى فعله الآخرون ، ولكنه شىء آخر أعمق من ذلك وان كان ذلك التصرف يشير الى هذه الفضيلة ولكنه شىء أعظم وأكثر مشابهة لله وأسمى كمالا : **انه انتزاع الهوى من الروح نفسها ، ومن ميول القلب ، واقتطاع كل ما يتعارض مع العقل من جذوره لكى يطرح بعيدا** • هذا هو الدرس الذى يليق بالمؤمن أن يستوعبه ، وهذا هو التعليم الذى يجدر أن يصدر عن مخلص الجنس البشرى • فالذين سبقوا واحتقروا الأمور المادية ، تركوا وبددوا ممتلكاتهم ولكن هوى النفس ـ فيما اعتقد ـ قد زادوه ضراوة وضراما ، لأنهم انغمسوا فى التباهى والمظاهر والسبح الباطل ، كما نظروا باحتقار الى بقية الجنس البشرى وكأنهم أتوا من الأعمال الخارقة ما لا يرقى اليه مستوى سائر البشر •

ولذلك فالمخلص لم يضع على عاتق المختارين للحياة الأبدية ، نفس المطلب الذى حققه أولئك المفكرون دون بلوغ الحياة الأبدية ؛ ومع ذلك فالرجاء الذى يعدهم به هو الحياة الأبدية • فالفلاسفة الذين أشرنا اليهم مع أنهم عقليا قد تخلوا عن غنى العالم وثروته ، الا أنهم بعد التخلص من أعباء المال ، ظلت الشهوة فيه والحنين اليه تلتهب فى داخلهم وأعماقهم • من الجائز جدا أن يتركوا استخدام المال ، ولكنهم كانوا

يشعرون بالعوز والحرمان فتتجدد فى داخلهم الرغبة فى ما سبق أن وزعوه وأعطوه ، ويتضاعف حزنهم وأساهم لأنهم فقدوا ما يترتب على المال من الاحترام والتقدير ، ويموج قلبهم بالندم على فعل الفضيلة التى أتوها أمام الناس . فمن المستحيل ومما لا يقبله العقل أن المحتاج الى ضروريات المعيشة لا يقلق ذهنه بسببها من جهة ، ومن جهة أخرى لأنه يواجه من المعطلات والمعوقات ما يقف دونه فى سبيل الوصول الى ما هو أفضل ، كما يواجه العلل الأولى التى تقيم فى وجهه هذه العقبات .

+ + +

١٣ ـ المال والوصايا

ولكن الموقف يتغير تماما اذا انقلب الحال الى العكس ؛ عندما يباح للانسان مال وفير ، ويمتلك ثروة طيبة . لايتعرض للمآزق والضوائق ، ومن ناحية أخرى يستطيع أن يمد يد المعونة الى من يحتاج اليها . ولو كان الجميع لايملكون من أمر الدنيا شيئا ، فأين ـ اذا ـ يكون مجال العطاء ؟ وهل اذا توفر المال للانسان ـ تتعارض هذه الحياة مع المبدأ السابق ، وتناقض تعاليم الرب ؟ انه يقول : اصنعوا لكم أصدقاء بما الظلم ، حتى اذا فشلتم يقبلونكم فى المظال الأبدية (لو ١٦ : ٩) ، اكنزوا لكم كنوزا فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون (مت ٦ : ٢) فاذا تجرد كل انسان من احتياجات هذه الحياة،

فكيف يعطى طعاما للجائع وماء للعطشان وثوبا للعريان ومأوى للطريد والشريد • واذا لم يفعل هذه الأمور تتوعده النـار الأبدية والظلمة الخارجيه • لا •• انه يقبل من زكا ومتى ـ وهما من أثرياء العشارين ـ أن يستقبلاه ويستضيفاه فى كرم وسخاء ، بل ـ أكثر من هذا ـ لا يطلب اليهما أن يتخليا عن ممتلكاتهما ، بل يكتفى بتحقيق العدالة ورفع الظلم ، وينعم عليهما : اليوم حصل خلاص لهذا البيت اذ هو أيضا ابن ابراهيم (لو ١٦ : ٩) وهو ـ بهذا ـ يمدح استخدام الثروة فضلا عما يعلمه من تخصيص جزء منها لتقديم المـاء للعطشان ، والخبز للجائع ، والمأوى للغريب والكساء للعريان •

ولكن اذا كان من المستحيل تقديم هذا العطاء دون أن يتوفر المال ، وفى نفس الوقت يأمر الشاب أن يترك ماله ، أمـا يبدو هناك شىء من التناقض ؟! فالسيد يحث على العطاء وعلى عدم العطاء فى نفس الوقت ، أن تطعم وألا يكون لك مـا تطعمه ، أن تفتح بابك لايواء الآخرين ، وأن تغلق هـذا الباب ، أن تشـارك فى احتياجات المعوزين وألا تشـارك !! لا شك أن هذا لا يمكن أن يستسيغه العقل !

+ + +

١٤ ـ مـا هو المـال ؟

اذا فالأموال التى ينتفع بها أقاربنا وجيراننا لا ينبغى أن نرفضها أو نلقيها بعيدا عنا • هى مقتنياتك من حيث أنك أنت المالك لها ، وهى صالحة من حيث أنها نافعة اذا أعطيت

لك من قبل الله من أجل فائدة البشر • وهى موضوعة فى أيدينا ، موكولة الى سلطاننا كمادة وأداة للاستعمال الصالح اذا كنت تدرك قيمة هذه الأداة والغرض منها • فاذا استخدمتها بمهارة أصبحت هذه الأموال قوية وذكية • أما اذا كانت تنقصك هذه المهارة امتد أثر قصورك وعجزك الى أموالك • أما هى فليست موضعا للوم كما هو الحال بالنسبة لكل آلة وأداه ، **وما المال الا احدى هذه الأدوات • اذا أحسنت استخدامه على الوجه الصحيح ، كان هذا التصرف الصالح رفيقا للبر وصنوا للفضيلة • ومن الناحية الأخرى فان سوء الاستخدام خادم للشيطان يقود الى الخطأ والانحراف • لأن من طبيعة الأداة أو المال أن يكون عبدا خاضعا لا سيدا حاكما** • ولا ينبغى اذا أن نلوم الشىء الذى ليس فى ذاته خيرا أو شرا ، وبالتالى غير قابل للوم ، أما من يستحق اللوم حقا فهو الشخص الذى يملك السلطة فى استخدامه حسنا أو شرا لأنه يملك حرية التصرف وحق الاختيار • هذا هو عقل الانسان وحكمه لأنه يملك الحرية فى ذاته كما يملك البت فى كل ما يحال اليه من الأمور • وعلى هذا فالضرورة ليست موضوعة على أحد أن يبدد ثروته أو ينبذها ، بل بالحرى أن يقمع أهواء النفس التى لا تساير الحق الواجب فى استخدام المال • ولا غرو — اذا — أن المرء اذا اقتنى الفضيلة والصلاح ، استطاع أن يحسن استخدام هذه الأموال • وعلى هذا فانكار المال وبيع الأملاك يجب ألا يفهم الا على أساس أن المقصود بها هى أهواء النفس •

٢٥ ـ ماذا نبيع ؟

ويمكن أن أضيف ـ اذا ـ أن هناك من الأمور ما يكمن فى أعماق النفس ، والبعض الآخر ينتمى الى خارجها • وهذه الأمور الخارجية اذا أحسنت النفس استخدامها صارت صالحة، وان اساءت صارت شرا • فهل نظن أن المخلص يأمرنا أن نترك مقتنياتنا وأن نجحد مثل هذه الأشياء بينما تظل فى النفس تلك الميول والأهواء ؟ أم ، بالحرى ، ان نقتلع تلك الأهواء ، وبعد ذلك ، تصبح الأموال نافعة ومفيدة ؟ فقد يلقى الانسان وراء ظهره كل ثروة العـــالم ، ولكنه يظـل داخله مسرحا لانفعالات الأهواء وميول الجسد ـ حتى اذا لم يتوفر له تحقيقها ـ لأن الرغبة تنتج آثارها الخاصة التى تخنق التعقل وتقمعه ثم تلهب فى الذهن شهواتها • فى هذه الحالة لن يجديه قتيلا أن يفتقر الى المال بينما تنطلق أهواؤه الجامحه بلا قيود • فالذى رفضه وأنكره وألقاه وراء ظهره لم يكن مـا ينبغى أن يجحده ، بل فى حقيقة الأمر ـ يكون قد ترك ما لا يعنيه كثيرا وبالتالى قد حرم نفسـه مما كان يمكن أن يسـتخدمه للخير والمنفعة • الا أنه أشعل فى داخله لهيب الشر بسبب افتقاره وعوزه الى هذه الأمور الخارجية والتى كانت فى متناول يده • **فالواجب يقضى علينا أن نجحد ذلك النوع من المقتنيات الذى يسىء الينا ، وليست تلك التى يمكنا الانتفاع بها اذا أدركنا مجالات استخدامها الصـحيحة** • ومـا يمكن التصرف فيه بالحكمة والاتزان والتقوى انما هو أمر نافع ، بينما الأمور الضارة هى مـا يجب أن نتحاشاه أو نقصيه عنا • ولما كانت

الأمور الخارجية لا تعود علينا ـ فى ذاتها ـ بالضرر ، علمنا الرب أن نتداولها بشكر ، فهو يأمرنا أن ندع جانبا لا المال من حيث هو وسيلة للمعيشة ، بل يمنعنا من سوء استخدامه الضار ، لأن هذا ـ بدوره ـ ضعف من ضعفات النفس وهنات أهوائها .

+ + +

١٦ ـ اقتناء المال

واقتناء المال عند هؤلاء الزاهدين أمر مميت يفضى بهم الى طريق الهلاك ، وفى نفس الوقت يرحبون بفقدان الثروة الذى يؤدى الى نقاء الروح وصفاء النفس ـ أى فقيرة عارية . علينا اذا أن نستمع الى توجيه المخلص قائلا : تعال . اتبعنى . لأنه فى ذلك الحين ـ حقا ـ يصبح الطريق فعلا لأنقياء القلب . اما فى الأرواح الملوثة بدنس هذا العالم ، فلا تجد نعمة الله مدخلا اليها . والنفس النجسة هى الغنية بالشهوات ، المتهالكة على لذات العالم .

لأن الذى يقتنى فضة أو ذهبا أو بيوتا باعتبارها عطايا وهبات من الله ، فيقدم منها قرابينه لله الذى أعطاه اياها من أجل خلاص نفسه ، ويدرك أنه لا يملكها من أجل ذاته فقط بل من أجل الاخوة أيضا كما يعلم أن نفسه أهم منها وأنه ليس عبدا لها بل ولا يعطيها مكانا فى روحه فلا يتعلق بها أو يضيق على حياته فى نطاقها ، بل يجاهد دائما فى أعمال

الهية صالحة ، بل ولعله أيضا من حين الى آخر يستغنى عنها أو يحتاج الى الحرمان منها . **مثل هذا الانسان يستطيع أن يحتمل زوال هذه النعم تماما كما يقبل وفرتها وكثرتها . وفى كلتا الحالتين ينعم بذهن مستريح يفيض بالرضى والفرح.** هذا هو المبارك حقا من قبل الله ، الذى يلقبه بالمسكين بالروح ، الوارث المستحق أن يدخل ملكوت السموات . انه ليس ذلك الصنف الذى لم يستطع أن يمارس الحياة وهو غنى ذو أموال كثيرة .

+ + +

١٧ ـ الكنوز وأنواعها

أما من يتحفظ على أمواله فى أعماق روحه ، وبدلا من أن يصبح مسكنا لروح الله يحمل فى قلبه ذهبا أو أرضا فيعمل جاهدا على زيادة أمواله بلا حد فينوء كاهله تحت أعباء العالم التى تكبله بقيودها . كلها من الأرض والى الأرض تعود . انه لا يجد الوقت الذى فيه يريد أو يهتم بملكوت السموات لأنه لا يحمل قلبا بين جنبيه بل أرضا ومعدنا ، فهو بالضرورة لا يوجد الا بين مختارات نفسه ومشتهياتها ؛ فحيث يوجد عقل الانسان هناك يكون كنزه أيضا . والسيد نفسه يقر بوجود نوعين من الكنوز ؛ الصالح لأن الرجل الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح ، والكنز الشرير لأن الرجل الشرير من الكنز الشرير يخرج الشر ؛ ولأن من فضلة القلب يتكلم الفم (مت ١٢ : ٣٤ ـ ٣٥)

وكما أن الكنز ليس من نوع واحد بالنسبة لله كما هو الحال بالنسبه لنا نحن أيضا ، فهناك ـ بالتالى ـ الكنز الذى يعطى لمن يجده ، الربح العظيم الذى لا يتوقعه ، وهناك كذلك الثانى قنية الشر الذى ليس فيه غناء فضلا عن الضرر الذى يوقعه بمن يسعى اليه • وهكذا نستطيع أن ندرك أيضا أن هناك غنى فى الصالحات كما يوجد الغنى فى الشرور • ولما كنا نعلم أن الثروة والمال فى طبيعتهما لا يتغايران أو يفترقان ، الا أننا نطلب أحدهما ونقتنيه بينما نتجنب الآخر ونتحاشاه ونرميه •

وعلى نفس هذا النهج تتبارك وتطوب المسكنة بالروح • فالقديس متى لم يذكر فى الانجيل طوبى للمساكين (مت٥:٣) فقط بل أضاف اليها قوله بالروح • وبعد ذلك يقول لنا طوبى للجياع والعطاش •• الى بر الله (مت٥:٦) ولهذا فالأشقياء حقا هم ذلك الصنف من الفقراء والمساكين ، الذين لم يطلبوا بر الله لأنهم يعانون مشقة الفقر وبؤسه ، يقلون عن غيرهم مالا ، وفى نفس الوقت لم يتذوقوا بر الله ونعمته حتى الآن •

+ + +

١٨ ـ الكم والكيف

اذا فالتعبير الدال على صعوبة دخول الأغنياء الى ملكوت السموات يجب أن نتفهمه فهما عقليا سليما ، ولا نأخذ الكلام على عواهنه ، أو نكتفى بما يشير اليه سطحيا أو حرفيا أى جسديا لأن أخذ الأمور على هذا المحمل يؤدى بنا الى مشكلة

أو تساؤل لا يقبله الايمان المسيحى وهل يعتمد خلاص الانسان أو أبديته على الظواهر والصفات الخارجية وحدها ، سواء قلت أو كثرت ، صغرت أو عظمت ، تذهل الأنظار أو تخفى عليها، عظمت قيمتها أو تفهت ؟! لا شك أن الخلاص يعتمد على فضيلة الروح ، على الايمان والرجاء والمحبة ، على المودة الأخوية والمعرفة والوداعة والاتضاع والحق هذه التى من أجلها يوهب الخلاص مكافأة لها • **والانسان لا يحيا من أجل كمال الجسد وجمال تناسقه كما أنه لا يهلك بسببها ، بل ينال الحياة من يستخدم جسده بطهارة طبقا لمشيئة الله ؛ أما الذى يفسد هيكل الله فسوف يفسده الله** • الرجل الدميم القبيح قد يكون مستهترا مستبيحا ، كما قد يتوفر فى الرجل الجميل الطلعة صفات الاعتدال والاتزان • وقوة الجسم وضخامته لا تهب الحياة لأى عضو منه ، كما أنها لا تهلكه ؛ أما الروح الذى يستخدم الجسد جميعه فهو الذى يؤدى الى حياته أو هلاكه • ولذا قيل لك أن تحتمل عندما تلطم على وجهك (مت ٥ : ٣٩) هذه الوصية التى يستطيع الرجل القوى أن يطيعها بفضل ما يتمتع به من صحة جيدة ، فى حين أن الرجل الضعيف قد يتورط فى الاعتداء على خصمه بسبب حدة طباعه • وعلى نفس المنهج فقد نجد مسكينا محروما ولكنه مخمور بالشهوات بينما نقابل الغنى فنجده معتدلا مقسطا فى حاجات العالم ، فقيرا فى الميول والأهواء ، جديرا بالثقة حكيما نقيا عفوفا •

ونخلص من هذا كله الى أن الروح هى التى تحيا ، وبالفضائل التى تنبع منها نخلص أما الرذائل والشرور

فهى مهلكة الانسان ؛ ويتضح لنا كذلك أننا قد نخلص بالافتقار الى الأمور التى ينشىء توافرها هلاكا لأرواحنا ، كما قد نهلك بالأشياء التى تقضى كثرتها على أرواحنا • وعلى هذا يتحتم علينا أن نرتب مصير حياتنا على أساس حالة الروح وميولها اما فى الخضوع وفى طاعة الله أو بعيدا عن الفقارة أو فى التعدى وعمل الشر •

+ + +

١٩ ـ الجسد والروح

من الحق والعدل اذا أن يوصف بالغنى من كان غنيا فى البر والفضيلة ، الذى يستطيع أن يستخدم ثروته بالأمانة والعدل • أما بالنسبة لذلك الغنى بحسب الجسد فلا يعدو الأمر أن تكون أمواله وهما وسرابا ، لأن حياته نفسها سوف تصبح مجرد قنية خارجية تندرج فى قائمة ممتلكاته وينطبق عليها ما يجوز على هذه الثروة من حيث أنها زائلة ومؤقتة حينا يمتلكها هذا وفى حين آخر تؤول الى سواه وفى نهاية المطاف لا تنتمى الى أحد على الاطلاق •

وعلى نفس القياس يوجد المسكين الحقيقى والمسكين الظاهرى ، فمسكنة الروح هى السمة التى تفرق بين المسكين الحقيقى وبين ذلك الفقير فى اصطلاح العالم لأن الأخير يختلف عن الأول اختلافا جوهريا لأن فقره يصدق على ما لديه من مال ، أما من جهة الروح فهو غنى بالرذائل • وقول الانجيل موجه الى هذا الفقير الذى لم يعرف مسكنة الروح ، ولم يرتفع

الى الغنى فى الالهيات • الى هذا الفقير يقول المخلص : أترك كل مـا تملك بعيدا عنك ، ممتلكاتك ومقتنياتك التى تفرض سـيطرتها على روحك ، اقصـــها عنك واطردها من قلبك حتى تتطهر روحك فتعاين الله ـ وبعبـارة أخرى ـ فتدخـل ملكوت السموات • ولكن ما السبيل الى ترك هذه الممتلكات؟ يمكنك أن تبيعها • وماذا بعد ؟ هل يقصد من وراء هذا البيع استبدال الأموال بالبضائع ، أو تحـويل الأموال الى أموال سائلة ؟ لا يقصد شيئا من هذا بتاتا • بل بدلا من النوازع والميول التى تكمن فى روحك ـ موضوع الخلاص ـ **يمكنك أن تمارس لونا آخر من الغنى والثروة ، يقدس الروح ويقودها الى الحياة الأبدية• يمكنك أن تتمرس على الميول التى تستجيب لوصية الله ، ولأجلها تنال المجازاة التى لا تجف ولا تنضب ، وتحقق لك كرامة وخلاصا وخلودا أبديا•** هذا هو المعنى الدقيق لوصية المخلص أن تبيـع كل ما تملك ـ على وفرته ـ حتى لا تغلق هذه الميول والأموال أبواب السماء فى وجهك لأنهـا تحتل مكان الغنى الروحى القادر على خلاصك . دع عنك ثروة العالم واتركها لفقراء الجسد الجانحين عن طريق الروح • أما أنت وقـد بلغت غنى الروح بديلا للمـال فاكنز كنزك فى السماء •

+ + +

٢٠ ـ حـيرة

أما الشاب الغنى ، المستقيم والبار حسب الناموس ، فلم يفهم شيئا من هذه المعانى الرمزية . لقد استغلق على عقله كيف يكون الانسان فقيرا وغنيا فى آن واحد ، وكيف يقتنى الأموال وفى نفس الوقت لايقتنيها ، وصعب عليه أن يستوعب كيف يستخدم العالم ولا يستخدمه . **وبسبب حرفيته الجامدة مضى حزينا كسير القلب ، وترك قضية الحياة التى عجز عن البلوغ اليها ، ولكن كان أقصى ما وصل اليه هو مجرد الرغبة والتعلل بالتمنى ، وبذلك صار الأمر العسير مستحيلا بالنسبة له ليس الى بلوغه من سبيل** . لقد كان من الصعب على النفس ألا تجذبها لذات الحياة ومتعتها فتنغمس فى لججها الطائشة ، وكان من الصعب ألا تستجيب لنداء الاغراءات الكامنة وراء الغنى والمال . **ومع كل هذا ، ورغم كل هذه الشهوات لم يكن مستحيلا عليه أن يمسك بشبكة الخلاص اذا تجرد من الثروة المادية ، واذا ارتفع الى المعرفة العقلية التى يعطيها الله نفسه فيتعلم من نور الروح القدس كيف يستخدم كل الأشياء بحكمة وفطنة حتى يشق طريقه الى الحياة الأبدية .**

حتى التلاميذ أنفسهم حين سمعوا جواب المخلص اضطربوا وتحيروا . لماذا ؟ هل كانوا يملكون الثروات الطائلة ؟ أبدا ، لقد تركوا ـ منذ زمان طويل ـ شباك الصيد وأدواته وتركوا قواربهم وهـذا كان كل ما يملكون . فلماذا خالط الخـوف والوجل سؤالهم : فمن يستطيع أن يخلص ؟ لقد سمعوا جيدا

كل ما دار من حديث ، واستوعبوا ـ كتلاميذ ـ ما انكشف وما استتر من معانى المثل والرمز ، وأدركوا عمق الكلمة . ومن حيث المعنى القريب عن الأموال فقد ضمنوا الخلاص لأنهم فقراء يعوزهم الغنى ، ولكنهم اذ تبينوا الأبعاد الحقيقة للمعنى وتجلت حقيقة القضية أمام أعينهم ، انكشفت حقيقة أنفسهم ازاء الكلمة ، فأدركوا ما اندس فى طويتهم من شهوات وميول لم يجحدوها تماما ـ اذ كانوا حديثى الايمان ، ولم ينخرطوا فى سلك التلمذة للمخلص الا من وقت ليس ببعيد ـ بهتوا الى الغاية وغمرهم شعور باليأس من ذواتهم لا يقل عن اليأس الذى انتاب ذلك الشاب الغنى الذى تعلق بالمال الى المدى الذى جعله يفضله على الحياة الأبدية .

لقد كان هذا التعليم هو قضية الجميع . لقد حل الخوف على التلاميذ لأن المقصودون بكلمة الأغنياء هم الذين يملكون الأموال ، كما أنهم هم الذين يسايرون شهواتهم وكلاهما سوف يطرد من رحاب السماء لأن الخلاص هو الامتياز الذى لا يناله سوى الانقياء الأطهار .

+ + +

٢١ ـ الجهاد والنعمة

ولكن السيد يجيب بقوله : لأن غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله . وهذه من آيات الرب التى تفيض بالحكمة العلوية ، لأن الانسان الذى يعمل ويجاهد بنفسه سعيا وراء التحرر من الميول والشهوات لا يستطيع بذاته أن ينجز شيئا .

أما اذا كشف عن اشتياق قلبه الى هذه الحرية ، فانه ينال بغيته بفعل قوة الله ، لأن الله يتضافر ويعين الأرواح الراغبة المريدة • أما اذا أهملوا هذه الأشواق الروحية فحتى الروح الذى يسكبه عليهم لا يجد مناصا من الانزواء فى حزن وكآبة، لأن خلاص من لا يريد الخلاص يعنى أنه عمل من أعمال الجبر والارغام ، على عكس خلاص الراغبين فيه فهو عمل من أعمال النعمة • وفى نفس الوقت لا يمكن أيضا أن يعطى ملكوت السموات للغافلين أو المتكاسلين بل الغاصبون يغتصبونه
(مت ١١ : ١٢) فهذا هو الاغتصاب الوحيد الذى يمدحه الكتاب أن تغتصب الله وتغتصب منه الحياة ، وهو ـ بدوره ـ يلين ويمنح اذ يرى مثابرة الطالبين وثباتهم ولجاجتهم لأن الله يسر بأن يغلب فى مثل هذه الأمور •

ولهذا فعند سماع هذه الكلمات تلقفها بطرس الاناء المختار والمتقدم بين التلاميذ وأولهم (١) ، الذى وفى المخلص الجزية عنه وعن نفسه ، وأمسك بها على عجل ، وأعمل فيها فكره وقال : ها نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك• فماذا يقصد بهذا

---

(١) حديث كليمنضس عن القديس بطرس لا يحمل أى معنى ولا يقصد به اسناد الرياسة لبطرس كما تنادى الكنيسة الكاثوليكية ، فالقديس بطرس يحق له التكريم ولكن تكريمه والاحتفال به فى الكنيسة لا يعنى رياسته على التلاميذ أو الكنيسة التى يقول الكتاب أن رأسها هو المسيح نفسه •

القول ؟ ألعله يشير الى ثروة العالم فيفتخر بتضحيته بتلك الدريهمات القليلة التى تركها ؟ . ثم ينسى أنه سيأخذ عوضا عنها ملكوت السموات . أما اذا كان يقصد أنه ترك ما كنا نتحدث عنه أى ممتلكات العقل القديم وأمراض الروح ، فهو بالحقيقة اذا يسلك فى اثر خطوات السيد ، ويدخل فى عداد الذين كتبت أسماؤهم فى السموات. **هذه هى التبعية الصادقة المخلص، السعى وراء البر والكمال وتجميل النفس وضبطها - كما فى مرآة - وترتيب كل الأشياء على هذه الصورة .**

+ + +

٢٢ - العلاقات البشرية

قد يتعلق قلب الانسان بالروابط الجسدية كما يتعلق بالمال فيقف ذلك حائلا دون خلاص نفسه ، فما هو المبدأ المسيحى الذى يمكن أن نستنير به فى هذا الأمر . هذا مايجيب عنه اكليمنضس الآن .

فأجاب يسوع وقال : الحق أقول لكم ليس أحد ترك بيتا أو اخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا لأجلى ولأجل الانجيل الا ويأخذ مائة ضعف (مر ١٠ : ٥٨-٣٠) وهذا القول لا ينبغى أن يزعجنا ، فقد قيل ما هو أشد منه وأكثر حسما . ان كان أحد يأتى الى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته وأخواته حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لى تلميذا (لو ١٤ : ٢٦) وليس من المعقول أن الله

المحبة والسلام الذى يدعونا الى محبة الأعداء ، يحضنا على مشاعر الكراهية أو يدعونا الى التحلل من روابط المحبة • بل على العكس من ذلك ، اذا كان لابد لنا أن نحب الأعداء ، فمن المعقول منطقيا ومما يتسق مع منطق الوصية ، أن يدعونا الى محبة الأقربين وبالأولى أقرب هؤلاء المقربين • ولو كان يدعونا الى كراهية أقرباء الجسد ، فقد كان الأجدر أن يدعونا الى كراهية الأعداء بالأكثر • ومن هنا نرى أن النتائج التى نستخلصها على هذه الصورة السطحية تتضارب وتتناقض فى جذور الوصية •

ولكن الواقع أنه لا يوجد ثمة تضارب أو تناقض فى تعليم المخلص ، لأنه بنفس الأحساس والشعور ، وعلى أساس قاعدة واحدة يجب على المؤمن أن يحب عدوه وأن يبغض أباه ، بالقدر الذى يطفىء فيه جذوة الرغبة فى الانتقام من هذا العدو ، وبالقدر الذى يحده من أن يعطى أباه كرامة أكثر من المسيح • فالقول الواحد ينزع العداء والايذاء ، بينما الآخر يقضى على خشية الأقارب أو الخجل منهم ، وفى كلا الحالين فالهدف هو خلاص النفس • فاذا كان الأب أو الابن أو الأخ منكرا لله أو عائقا للمؤمن عن الحياة النقية ، فلابد له أن يقطع علاقته به ولا يجاريه بل فى عداوة روحية يحل نفسه من كل الروابط الجسدية •

[+] [+] [+]

٢٣ ـ ماذا نختـــار ؟

يمكنا أن نطرح القضية للدراسة على صيغة سؤال : هب أن أباك تقدم منك قائلا : لقد ولدتك وتعهدتك بالتربية ، وعليك طاعتى فاتبعنى الى الشر وشـاركنى اياه ، ولا تتبع ناموس المسيح • والوالد الذى يدعو ابنه على هذه الصورة لا يختلف عن المجدفين أو الموتى بالطبيعة •

الا أننا نستمع من جهة أخرى الى رب المجد قائلا : لقد ولدتك ولادة جديدة • بعد أن ولدك العالم بالخطية للموت ، حررتك ، أبرأتك من كل أسقامك وافتديتك • سأريك وجه الأب القدوس فلا تدع لك أبا على الأرض ، دع الموتى يدفنون موتاهم ، تعال اتبعنى لأنى سأقودك الى الراحة حيث البركات التى لا ينطق بها ولا يشوبها نقص ، بل هناك ما لم تره عين ومـا لم تسـمع به أذن ومـا لم يخطر على قلب بشر ، هناك مـا تشتهى الملائكة أن تراه ، هناك أشياء صالحة قد أعدها الله من أجل القديسين من أجل أبنائه ومحبى اسمه القدوس (١ كو ٢ : ٩ و ١ بط ١ : ١٢) أنا الذى أطعمك وأشبعك فأعطيك جسدى خبزا ، ومن يأكل منه لا يذوق الموت ، وأروى عطشك فى كل يوم فأسقيك مـاء الحياة الأبدية • أنا الذى أعطيك من التعاليم مـا يفوق السموات • من أجلك صارعت الموت ، وافتديت موتك الذى كان دينونة عليك من أجل خطاياك السالفة وعدم ايمانك •

أما وقد سمعت ما يقوله الطرفان ، فلك أن تقرر من أجل نفسك وتختار الطريق من أجل خلاص نفسك • مهما كان الشخص الذى يحدثك أخا أو ابنا أو زوجة فيجب أن تجعل المسيح فى داخلك هو الظافر المنتصر ، لأنه هو الذى يحارب عنك •

+ + +

٢٤ ـ عشرة

ويمكنك أيضا أن تخاصم الغنى بقولك : لا شك أن المسيح لا يعوقنى عن الأموال ، لأن السيد لا يحسد •

ولكن هل وجدت نفسك مغلوبا من محبة المال ؟ اتركه ، القه بعيدا عنك . عليك أن تبغضه وتجحده وتهرب من سلطانه، حتى عينك ان أعثرتك فاقلعها والقها عنك (مت ٥ : ٩) لأنه خير للانسان أن يدخل ملكوت الله وله عين واحدة من أن يلقى فى جهنم «النار» وله عينان . **وسواء كانت العثرة يدا أو قدما أو روحا فعليك أن تبغضها ، لأنك ان أهلكتها هنا من أجل المسيح ، فسوف تسترد الحياة هناك** •

+ + +

٢٥ ـ تجارب من الخارج ، والداخل

ويفهم من قول السيد أيضا أنه فى هذا الزمان الحاضر يأخذون حقولا وأموالا وبيوتا واخوة مع الاضطهادات • والذين دعاهم السيد الى الحياة لم يكونوا جميعا مفلسين أو مشردين

أو مجردين من الأقارب فقد دعا الأغنياء فيمن دعا ، كما كان بين التلاميذ أخوة مثل بطرس وأندراوس ، ويعقوب ويوحنا ابنا زبدى ، وكان لهم جميعا الفكر الواحد معا ومع المسيح .

أما قوله ـ مع اضطهادات ـ فينفى فكرة التملك تماما . فهناك اضطهاد يأتى على المؤمنين من خارج ؛ من البشر الذين يهاجمون المؤمنين بسبب الكراهية أو الحسد ، أو الخبث أو بدافع من الشيطان . ولكن هناك لون من الاضطهاد أقسى من ذلك ، هو الاضطهاد الداخلى الذى ينبع من داخل نفس الانسان عندما تنتهكه الشهوات الدنسة ، واللذات المتنوعة والآمال الرخيصة والأحلام المهلكة ، عندما يتطلع الى المزيد دائما فيندفع فى طلب أشواق ورغبات قلبه الدنسة بجنون ، ويلتهب بارهاصات الغرائز اللاذعة كالمناخس ملطخة بالدماء تدفعه الى أفعال حمقاء والى اليأس من الحياة والاستهانة بالله .

ولهذا كان الاضطهاد الداخلى أكثر قسوة وأشد ايلاما من العوامل الخارجية ، لأن مصدره من الداخل الذى يلازم الانسان ولا يستطيع أن يتجنبه لأنه يحمل عدوه فى داخله أينما كان . **ولهذا فالمقاومات الخارقه من خارج تنشىء التجارب ، أما التجارب الداخليه فتنشىء موتا . والحرب التى تأتى على الانسان من الخارج يمكن أن يوضع لها حد ، أما الحروب التى تنشب من داخل الروح فتستمر حتى يلفظ الانسان أنفاسه الأخيرة .**

مع مثل هذه التجارب ـ اذا توفر لك غنى العالم أو الأقارب الذين ترتبط بهم باللحم والدم أو غير ذلك من الخيرات ـ عليك

أن تترك كل هذا الغنى الذى يؤدى الى الشر ، وتجد فى طلب السلام واقتنائه لنفسك ، وأن تحرر نفسك من هذه التجارب المتماطلة • تحول عنها جميعا واتجه الى الانجيل • اختر لنفسك ـ قبل كل شىء ـ المخلص والشفيع وبارقليط نفسك رئيس الحياة ، لأن الأشياء التى ترى وقتية وأما التى لا ترى فأبدية (٢ كو ٤ : ١٨) فأشياء الزمان الحاضر وأمواله كلها زائلة وغير يقينية ، أما رجاء العالم الآتى فهو حياة أبدية •

+ + +

٢٦ ـ المنهج القديم

والأولون يكونون آخرين ، والآخرون أولين (مر ١٠ : ٣١) هذه العبارة غنية بالمعانى ومجال واسع للتخريج والتفسير ولكن الآن ليس هو مجال تناولها بالتحليل لأنها لا تتعلق بذوى الأموال وحدهم ولكنها تنطبق على جميع الذين قبلوا الايمان مرة ولذلك أكتفى بتأكيد ما سبق أن أوضحته من أن المخلص لم يقطع الأغنياء بسبب أموالهم بالذات ، ولم يحجز عنهم بركات الخلاص اذا أرادوا واذا استطاعوا أن يخضعوا حياتهم لوصايا الله ، واذا فضلوا عطايا الروح على الأشياء الوقتية ، فثبتوا عيونهم نحو الرب كما يثبت البحارة عيونهم على القبطان الصالح حتى يدركوا ما يريد وما يأمر ويسرعوا الى تلبية كل اشارة يعطيها حتى يتجهوا بسفينتهم فى الطريق التى ينبغى أن تتجه اليه •

وما هو الخطأ أو الضرر الذى يصيب الشخص أو يرتكبه

اذا كان ـ قبل الايمان ـ جمع ثروته عن طريق الاقتصـــاد واعمال الفـكر ؟ وهل يـلام الانســان ، اذا اقتنى من الله واهب الحياة ، مسكنا في بيت من بيوت الأثرياء ، واقامة في بيئة يكثر في أيديهم المال ؟ ولو حرم المرء من الحياة الأبدية بسبب مولده ـ بغير ارادته ـ في كنف المال والذهب ، لكان هذا الانســان مظلوما من الله الذى جبله وأفاض عليــه المتع الزمنية ، وبالتالى جعله محروما من الحياة الأبدية • ولماذا نبعت الثروة من الأرض اطلاقا اذا كان المال هو صانع الموت وراعيه•

والإنسان الذى يحيا فى بحبوحة من المال ، اذا استطاع أن يتحرر من سلطانه وأن ينحو فى مشاعره وأحاسيسه منهج القسط والاعتدال ، وأن يمارس فضيلة ضبط النفس ولايطلب الا الله وحده فيتبعه ويلتصق به فى مسيرة الحياة • مثل هذا الوديع الروح يخضع للوصايا ويتحرر من علل الروح لأنه اذا صار حرا لم يعد عبدا كما أنه ينجو من جراحات الغنى • أمــا اذا لم يلتزم بهذا المسلك ، فدخول جمل من ثقب ابرة أيسر من دخوله (غنى) الى ملكوت الله (مت ١٠ : ٢٥) •

هذا الجمل الذى يسلك الطريق الضيق المستقيم فيسبق الغنى ، لابد وأنه يشير الى معنى عميق والى هدف سام يفصح عن سر من أسرار المخلص الذى سنتناوله بالدراسة فى شرح المبادىء الأولى للاهوت (١) •

---

(١) يفهم من هذا أن كليمنضس كان بصدد تأليف كتاب فى هذا الموضوع •

٢٧ ـ حجر الأساس

حسنا ، يجب اذا فى بادىء الأمر أن تحدد الفكرة أو المبدأ الذى يقوم عليه هذا المثل ، والسبب الذى دعا السيد الى توجيه مثل هذا التحذير ٠

على ذوى الأموال ألا يهملوا أو يتهاونوا فى خلاصهم ظنا منهم أن هلاكهم أمر محتوم أو قضـــاء مسبق من قبل الله ٠ ومن ناحية أخرى يجب عليهم ألا يتخلوا عن أموالهم فيلقونها فى البحر ، أو يلقوا عليها تبعة الخطية وكأن المال عدو قوى وخصم عنيد للحياة الأبدية ٠ أحرى بهم أن يتعلموا الطريقة اللائقة لاستخدام هذا المـال ، وكذا الطريق الى اقتناء الحياة الأبدية ٠ ولما كان المرء لا يمكن أن يهلك اطلاقا بسبب ماله ، كما أنه من جهة أخرى لا ينجو أو يخلص لمجرد ثقته واعتقاده بذلك ، فلابد للانسان اذا أن يمعن النظر فى الرجاء الذى فتح المخلص أبوابه له ويرى كيف يمكن أن يتحقق له ما لم يتوقعه، وينال ما كان يتطلع اليه بالرجاء ٠

وبناء على ذلك ، عندما سـئل المعلم عن أعظم الوصايا أجاب بقوله : أن تحب الرب الهك من كل نفسك ومن كل قدرتك (مت ٢٢ : ٣٦ ـ ٣٨) وبهذه الاجابة يعلن أنه لا يوجد بين الوصايا مـا يفوق هذه الوصية ٠ ويقوم هذا التقدير الذى أولاه لهذه الوصية على أساس منطقى معقول ٠ فالوصية تتناول الله نفسه ، الأول والأعظم ، أبانا الذى خلق جميع الكائنات ، وبه يوجد واليه يعود كل من يخلص ٠ والله قد سبق فأحبنا ،

ومنه نستمد كياننا ووجودنا ، وعلى هذا فمن الجحود أن نعتبر كائنا ما أيا كان أجدر منه بالحب والاجلال ، أو أقدم منه فى الزمان والأيام بل يقضى علينا الواجب أن نقدم له محبتنا دليلا صغيرا على اعترافنا بالفضل من أجل احساناته العظمى . وفى الواقع نشعر بالعجز حيال محبة الله اذ يقصر خيالنا عن تصور ما يمكن أن نقدمه بديلا أو كمقابل لمحبته لأنه كامل فى ذاته غنى عن كل شىء . وعن طريق ممارستنا لهذه المحبة لله الأب ، بكل ما نملك من قوة وقدرة نستطيع أن ننال الحياة الأبدية . لأن الانسان كلما ازداد حبا لله ، كلما ازداد دخولا الى أعماق الله .

+ + +

٢٨ ـ الوصية الثانية

والوصية الثانية لا تقل قدرا أو أهمية عن الأولى : أن تحب قريبك كنفسك (مت ٢٢ : ٣٩) ويستدل من هذا أيضا أنه يجب أن تحب الرب الهك أكثر من نفسك . وعندما يستفسر منه السائل عن تعريف القريب (لو ١٠ : ٢٩) نرى المخلص لا يجارى العرف اليهودى من حيث تحديده بقرابة الدم أو رفقة الوطن أو الدخول فى زمرة اليهود « الدخلاء » ، أو المشتركين معهم فى طاعة الناموس أو فريضة الختان . يترك كل هذا لكى يقدم لنا رجلا ينحدر فى طريقه من مرتفعات أورشليم الى اريحا . يهاجمه اللصوص ويطرحونه ويعتدون عليه ويتركونه بين حى وميت ، فيعبر به الكاهن ويمضى ، ثم يعقبه اللاوى

فيحول وجهه عنه ولا يشفق عليه سوى السامرى المنبوذ المحتقر . لم يمض كما جاز أولئك بل أقبل نحوه مزودا بكل ما يحتاج اليه انسان فى مثل هذا الخطر من زيت الى ضمادات الى دابة للحمل الى المال الذى يجب أن يقدمه لصاحب الفندق بعضه فورا والبعض الآخر يدفعه بالأجل .

وبعد هذا يسأل المخلص : فأى هؤلاء كان القريب بالنسبة للمسكين الذى قاسى هذه الآلام ؟ وعندما أجاب سائله : لذى صنع معه الرحمة ، عاد يسوع فقال له : اذهب أنت أيضا واعمل هكذا ، لأن المحبة تؤتى ثمرها فى الأعمال الصالحة .

+ + +

٢٩ ـ درجة المحبة

محور الوصيتين هو المحبة ، ولكنه يفرق بينها من حيث الترتيب . ففى الأولى يكرس لله باكورات الحب ، وفى الثانية يقدم الطرف الثانى للمحبة من أجل القريب شخصا آخر غير المخلص نفسه ؟ أليس هو الذى تحنن علينا وأشفق ؟ ألم نكن جميعنا فى قبضة سلاطين الظلمة ، محكوما علينا بالموت ؟! كنا مضروبين بالجروح والمخاوف وارهاصات الجسد وشهواته ، كنا مثخنين بجراح الخداع واللذات والآلام . ليس هناك من يشفينا منها جميعا سوى يسوع الطبيب الشافى ، الذى يقتلع هذه الأهواء تماما من جذورها ، ليس كما كان يفعل الناموس

وهو يجازى النتائج المكشوفة ويدين الثمار الرديئة للنبات الردىء ، بل يهوى المخلص بفأسه ليستأصل جذور الخطية من أعماق النفس .

هو الذى صب الخمر على جراحنا الروحية بالدم السائل من كرم بيت داود ، وهو الذى أحضر الزيت الذى يفيض بمراحم الآب ومحبته فأغدقها علينا بغزاره . انه هو الذى هيأ لنا غذاء الصحة والخلاص الذى لا يمكن أن يخيب ـ غذاء المحبة والايمان والرجاء . هو الذى أخضع الملائكة والرياسات والقوات لخدمتنا لأجل المجازاة العظيمة ، وهم أيضا سيستريحون من غرور العالم باستعلان مجد أولاد الله .

ينبغى لنا ، أن نحب الرب يسوع كما نحب الآب تماما . ومن يحب المسيح هو الذى يصنع مشيئته ويحفظ وصاياه . لأنه ليس كل من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يصنع مشيئة أبى (مت ٧ ٢١) ولماذا تدعوننى يا رب وأنتم لا تفعلون ما أقوله (لو ٦ : ٤٦) ولكن طوبى لكم لأنكم تبصرون وتسمعون ما لم يبصره الأنبياء والأبرار أو يسمعوه (مت ١٣ : ١٦ ـ ١٧) اذا فعلتم ما أقوله لكم .

+ + +

٣٠ ـ أعمال المحبة

محبة المسيح تحتل المكانة الأولى ، ويليها المحبة التى نقدمها للذين آمنوا بالمسيح والاهتمام بأمر اخوتنا فى الايمان ،

لأن كل ما نعمله بالتلميذ يقبله الرب كأنه قد صنع له ، ويحسب الكل له : تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم لأني كنت جائعا فأطعمتموني ، عطشانا فسقيتموني ، غريبا فآويتموني ، عريانا فكسوتموني ، مريضا فزرتموني ، محبوسا فأتيتم الى . فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يا رب متى رأيناك جائعا فأطعمناك . أو عطشانا فسقيناك . ومتى رأيناك غريبا فآويناك ، أو عريانا فكسوناك . ومتى رأيناك مريضا أو محبوسا فأتينا اليك فيجيب الملك ويقول لهم الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد اخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم .

ودرة أخرى يتجه بنظره الى الجانب الآخر ، حيث يقف الذين لم يمارسوا أعمال المحبة فيقول : الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد اخوتي هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا (مت ٢٥ : ٣٤ وما بعدها) . وفي موضع آخر أيضا يقول : من يقبلكم يقبلني والذي يرذلكم يرذلني (مت ١٠ : ٤٠ و لو ١٠ : ١٦) .

+ + +

٣١ ـ المحبة والعطاء

وبالنظر الى المجد الذي سيعطى لهم في السموات ، فالرب يدعوهم أطفالا وأبناء وصغارا كما يدعوهم أصدقاء . ويدعوهم هنا بالأصاغر فيقول : انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لأني أقول لكم ان ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات (مت ١٨ : ١٠) وفي مكان آخر

يقول : لا تخف أيها القطيع الصغير ، لأن أباكم قد سر أن يعطيكم ملكوت السموات (لو ١٢ : ٣٢) وعلى نفس المنوال يقول أيضا أن الأصغر فى ملكوت السموات ـ أى تلميذه ـ أعظم من يوحنا أعظم مواليد النساء (مت ١١ : ١١) .

ويقول كذلك : من يقبل نبيا باسم نبى فأجر نبى يأخذ، ومن يقبل بارا باسم بار فأجر بار يأخذ ، ومن سقى أحد هؤلاء الصغار (التلاميذ) كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ فالحق أقول لكم أنه لا يضيع أجره (مت ١٠ : ٤١ ـ ٤٢) هنا نحس بالمكافأة والمجازاة التى لا تخيب أو تضيع . ويوصينا أيضا : اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى اذا فنيتم يقبلونكم فى المظال الأبدية (لو ١٦ : ٩) وهو يبين لنا بذلك أن من الأمور الطبيعية أن يعتبر الانسان أن كل ما يملكه أو ما يقع تحت سلطانه ليس له وحده يختص به دون سواه ، ويسمح باستخدام مال الظلم هذا فى ممارسة أعمال البر أو الخلاص اذا ما خفف العبء عن أحد هؤلاء الذين لهم المظال الأبديه مع الرب .

لاحظ أولا أنه لا يأمرك أن تستجيب لنداء الملهوف أو تنتظر حتى يستغيث بك المحتاج بل أنت بنفسك تسعى الى المعوزين خصوصا الذين صاروا بالحقيقة تلاميذ للمخلص . ويكشف هذا المبدأ فى أروع صوره ما يقوله الرسول فى هذا الصدد : لأن المعطى المسرور يحبه الرب (٢ كو ٩ : ٧) الذى يجد لذة فى العطاء ، ولا يضن بشىء . يزرع لكى يحصد ثماره ، بلا تذمر

أو جدل أو ندم أو كبرياء . هذا هو العطاء الطاهر والصدقة المقبولة . وأجمل من هذا ما قاله الرب في مكان آخر : وكل من سألك فأعطه (لو ٦ : ٣٠) لأن هذا بالحقيقة هو فرح الرب في العطاء .

هذه هي وصية الرب المقدسة ، ألا تنتظر حتى يطلب منك بل بالحرى أن تلتمس أنت من يستحق عمل الرحمة والمحبة .

+ + +

٣٢ ـ التمس الرب

اذا فتعيين المظال الأبدية باعتبارها المجازاة عن العطاء السخي ، انما صفقة رابحة . يا لها من سلعة سمائية ! يستطيع المرء أن يشترى الحياة الأبدية بالمال . وبتقديم أمور هذا العالم الزائلة ، يأخذ في مقابلها مسكنا أبديا في السموات . هيا ياصاحب المال ، شد رحالك الى هذا السوق ان كنت حكيما ، واذا احتاج الأمر فنقب في الأرض كلها ولا تتجنب المتاعب والأخطار حتى يمكنك أن تبتاع ملكوت السموات وأنت هنا ما زلت على الأرض لماذا تبتهج بالزمرد والأحجار الكريمة الشفافة ؟ ولماذا تسر عندما تقتنى بيتا يمكن أن يصير وقودا للحريق أو دمية في أيدى الزمن أو لعبة تلهو بها الزلازل ، أو فرصة سانحة لغضب الطغاة الظالمين ؟ يجدر بك ـ بالحرى ـ أن ترفع أفكارك وآمالك للسكنى في السماء والتملك مع الله . هذا الملكوت الذى يعطيك اياه ابن الانسان الذى هو صورة الله ورسم جوهره . ومع أنك

تحصل هنا على القليل الا أنه يعطيك مسكنا معه الى آخر الدهور . اطلب اذا لكي تعطى ، اركض واطلب بلجاجة . خف لئلا يخجلك ، فهو لا يأخذ منك بل يعطيك . والوصية التي يعلمك اياها لا تقول اعطني أو هات أو اصنع خيرا أو ساعد ، بل تحثك وتحضك أن تصنع لك صديقا . والصديق يدعم حبه وصداقته ليس بعطية واحدة بل بالالتصاق الدائم لأن كل صفة مما ينبغي أن تتوفر في المؤمن لا يمكن أن يحددها يوم واحد سواء كان الايمان أو المحبة أو الرجاء أو الصبر .. بل من يصبر الى المنتهى فهذا يخلص (مت ١٠ : ٢٢) .

+ + +

٣٣ ـ العطاء .. لمن ؟

كيف يتسنى لى أن أقدم أعمال المحبة ؟ لأنه لا يجب أن أعطيها للأصدقاء فقط بل والى أصدقاء الأصدقاء . وهناك أمر آخر ؛ كيف يمكنني أن أحدد الشخص الذى يوصف بأنه صديق لله .

لا تحكم أنت فيمن يستحق هذه الصداقة أو لا يستحقها . من المحتمل جدا أن تخطىء في أحكامك . واذا كنا نتردد بسبب جهلنا ، فيحسن بنا أن نقدم العمل الصالح لغير المستحقين لأجل خاطر المستحقين ، فهذا أفضل من أن تحترس وتحتاط في تقديم عطاياك للخطاة ، وهذا بدوره يؤدى الى احجامك عن تقديمها للصالحين . ومهما تدقق وتحقق فيمن

يستحق العطاء أو لا يستحق ، فمن المحتمل جدا أن تتغاضى عن الكثيرين من أحباء الله ، وعقوبة مثل هذا الاهمال هى النار الأبدية • أمـا اذا أعطيت كل المحتاجين ، كل واحـد فى دوره ، فلابد أن تجد بينهم بالضرورة واحدا ممن يتمتعون بالدالة لدى الله من أجل الخلاص •

لا تدينوا ـ اذا ـ كى لا تدانوا فبالكيل الذى به تكيلون يـكال لكم ، كيلا جيدا ملبدا مهزوزا فائضـا يعطى لـكم (مت ٧ : ١ ـ ٢ و لو ٦ : ٣٧ ـ ٣٨) افتح قلبك بالعطف والمحبـة لكل الذين حسبوا تلاميذ للمسـيح ، ولا تنظر الى المظاهر الخارجية باحتقار ، أو تهمل ملابسات العمر فى أى زمن • لا يجب أن تتبرم وتضيق نفسك أو تحـول عينيك عمن يبدو مفلسا أو ممزق الثياب ، أو قبيح المنظر أو ضعيف البنية لأن الشكل الذى يبدو فيه الانسـان انما هو المظهر الخارجى ، وهذا لا دخل لنا فى تشكيله حين دخلنا الى هذا العالم حيث المدرسة التى ينتظم فيها الجميع •

أمـا فى الداخل فيسـكن ـ خفية عن الأنظـار ـ الآب القدوس وابنه الذى مات عنا وقام معنا •

+ + +

٣٤ ـ الكنز الداخلى

المظهر الخارجى يخدع الموت والشيطان لأنهما لا يريان الكنز الداخلى والجمال الروحى • فهما ينتهبان الجسد الذى

يحتقرانه من حيث هو ضعيف لا يبصر كنز الروح ، ولا يعرف أى كنز هذا فى اناء خزفى (٢ كو ٤ : ٧) .

أما نحن فنصير محفوظين بقوة الله الآب ، ودم الله الابن وموهبة الروح القدس . فلا تخدع نفسك يا من ذقت الحق وحسبت أهلا للخلاص العظيم . وعلى غير ما يفعل الناس ، اجمع حولك جمهورا من الجند لا يشهر السلاح ولا يتسم بالقتال والحرب ، لا يسفك الدماء ولا يميل مع الهوى ولا تشوبه شائبة بل كل جيشك يتكون من الشيوخ الأتقياء ومن الأيتام الذين صاروا موضوعا لمحبة الله ، ومن الأرامل اللاتى يتصفن بالوداعة ، والرجال الذين يزدانون بالمحبة . اقتن بمالك مثل هؤلاء الحراس على روحك وعلى جسدك . فمن أجل هؤلاء نجت السفينة الغارقة عندما قادتها صلوات القديسين وحدها . كذلك خضع المرض فى قسوته وركن الى الفرار بوضع الأيدى . حتى هجمات اللصوص انتزعت قسوتها وتبددت بالصلوات النقية . وانسحقت قوة الشياطين واستعلن خزيها بسلطان المجاهدين المثابرين .

+ + +

٣٥ ـ بركات الحياة فى الكنيسة

وجميع هؤلاء الحراس من المجاهدين أهل لكل ثقة، فليس فيهم غافل متكاسل أو عقيم بلا ثمر . واحد يطلب الغفران من الله لأجلك ويحصل عليه . وآخر يعزيك ويطيب قلبك فى ساعة المرض ، وهذا يئن ويتوجع ويذرف الدموع ـ من أجلك ـ

الى انه الكل ، وذاك يرشدك ويعلمك ما ينفعك فى خلاص نفسك • واحد يعظ ويتكلم بسلطان وآخر ينصح فى رفق ومحبة ، وجميعهم تفيض قلوبهم بالمحبة الصادقة • لا مكر ولا خوف ولا رياء ولا تملق ولا تظاهر • ما أجمل خدمة الأرواح المليئة بالمحبة! طوبى للأفكار النقية فى قلوب يملؤها الايمان ! وما أعمق ايمان الذين يخافون الله وحده لا سواه ! ما أصدق كلمات الأمناء الأوفياء • ما أجمل العمل مع المكرسين لخدمته وعبادته وطاعته • لا يلمسون جسدا ولا يتحدثون الا مع ملك الدهور الساكن فى داخلك •

+ + +

٢٦ ـ الكل فى خدمتك

كل المؤمنين ـ اذاً ـ صالحون أتقياء جديرون بالاسم الحسن الذى يحيط بهم كالسياج • وفضلا عن ذلك فهناك نخبة منتقاة من المختارين ، يتميزون بالانسحاب من خضم العالم وضجيجه وصخبه كما تلجأ السفينة الى الشاطىء ، يلتمسون الأمن والسلام . لا تحركهم رغبات الكبرياء أن يظهروا أبرارا أمام الناس بل يخجلون اذا مدحهم الناس بصفات البر • يخفون فى أعماق أذهانهم الأسرار النقية ، ويجفلون من اظهار حكمتهم قدام الناس • هؤلاء هم الذين لقبهم الله الكلمة ، بأنهم نور العالم وملح الأرض (مت ٥ : ١٣ـ١٤) هؤلاء هم زرع الله ، صورة الله ومثاله ، وصورة ابنه الحقيقى والوارث الذى أرسل ليقيم بيننا حسب قصد الله الآب وتدبيره العالى،

الذى به خلق كل ما فى العالم ، ما يرى وما لا يرى ، كل الأشياء منها ما هو لخدمة الانسان ، ومنها ما هو لتهذيبه وتدريبه ، وبعضها الآخر لتربيته وتعليمه . وتظل كل هذه الأشياء تعمل معا وتبقى ما دام هذا الزرع باقيا على وجه الأرض . وعندما يجمع أولاد الله تنحل هذه العناصر كلها سريعا .

+ + +

٣٧ ـ الله محبة

ماذا أقول لك أكثر من هذا ؟ ها هى أسرار المحبة ! يمكنك أن تعاين أعماق قلب الآب ، التى أعلنها لنا الله الابن الوحيد . فالله نفسه محبة وفى عمق محبته فاض علينا بحنان الأمومة الذى ينبع من جوهره الالهى الكامل . فى محبته وحنانه صار لنا أبا وأما وفى جوهره القدوس يجمع بين الأبوة والأمومة ، وليس أدل على ذلك من الابن المولود منه ، الثمرة التى ولدتها المحبة لم تكن سوى المحبة نفسها فى الجسد .

من أجل هذا أيضا نزل من السماء ، وأخذ جسد بشريتنا، خضع بارادته واختياره لتجارب الانسان . **واذ وضع نفسه الى قياس ضعفنا ، لأنه قد أحبنا ، نستطيع بالاتحاد به أن يرفعنا الى قياس قوته ومجده** . وبعد أن قدم نفسه ذبيحة وفداء عنا ، ترك لنا عهدا جديدا : سلامى أنا أعطيكم . ما أعظم هذه المحبة ! لقد بذل نفسه من أجل كل واحد منا

فداء عن الجميع . وهذا الحب عينه هو ما يوصينا أن نقدمه لاخوتنا . فاذا كنا مدينين بحياتنا للأخوة ، وفي نفس الوقت ارتبطنا معا بهذا الثبات المتبادل في المخلص ، فكيف يليق بنا ـ بعد هذا كله ـ أن نبحث عن اكتناز أموال العالم النافلة، وهي قنية زائلة وغريبة علينا ؟ ! هل يمكن أن نمنع أموالنا عن أحبائنا ، مع أنها ستصبح وقودا للنار ... ان معلمنا يوحنا يردد علينا تلك الأقوال الالهية عن المحبة فيقول : من لا يحب أخاه فهو قاتل نفس (١ يو ٣ : ١٤ـ١٥) زرع قايين وابن ابليس لأنه ليست فيه محبة الله أو اشفاقه . مثل هذا الانسان لا رجاء له في الأمور الأفضل لأنه مجدب عقيم ولا يحسب غصنا في الكرمة السمائية الحية الى الأبد . انه مقطوع منها ولا رجاء له في الحياة الأبدية .

+ + +

٣٨ ـ تدريب المحبة

يجب أن ندرب ذواتنا على السلوك في الطريق الراقي الذي يرسمه لنا معلمنا بولس الرسول، والذي تؤدي مدارجه الى الخلاص : المحبة لا تطلب ما لنفسها (١ كو ١٣ : ٥) ولكنها بطبيعتها تمتد الى الأخوة لتقدم ثمارها ، فهي ترفرف حولهم ، وتضطرب في حكمة من أجلهم : المحبة تستر كثرة من الخطايا (١ بط ٤ : ٨) والمحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج (١ يو ٤ : ١٨) المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق . وتحتمل كل شيء وتصدق كل شيء

وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء . المحبة لا تسقط أبدا وأما النبوات فستبطل والألسنة فستنتهى . ومواهب الشفاء ستخيب على الأرض . أما الآن فيثبت الايمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة (١ كو ١٣ : ٤-٨ و١٣) ويحق للقديس بولس أن يقول هذا لأن الايمان يزول عندما نقتنع بالرؤيا ومعاينة الله . ويختفى الرجاء عندما تتحقق الأشياء التي نرجوها ، أما المحبة فتكمل وتزاد قوة عند ما يفيض الله علينا بكماله .

فاذاً قبل الانسان المحبة فى قلبه - مع أنه ولد فى الخطية وارتكب الكثير من المحظورات - فانه يستطيع بالمحبة المتزايدة والتمسك بالتوبة النقية أن يقوم اعوجاجه وأخطاءه . وهكذا اذا عرفنا صاحب المال الذى لا مكان له فى السماء ، عرفنا كيف يستخدم ثروته فيما لا طائل تحته مما يحتم المصير الى اليأس والفشل .

+ + +

٣٩ - التوبة

لا جدال اذاً فى أن واجب الانسان أن يهرب من طغيان المال وسيادته على حياته ، وأن يتجنب العقبات التى يعرقل بها طريق الحياة أمامه . لابد له أن يفعل هذا حتى يتمتع بالخيرات الأبدية . ولكنه قد يحدث - بسبب الجهل أو العجز - أن تطرأ بعض الظروف - بعد ختم العماد والخلاص - فيسقط

هذا المؤمن فى الخطية أو التعدى وقد يوغل فى ضلاله حتى يجرفه تياره بعيدا فيصير مرفوضا أمام الله .

ولا بد لمثل هذا الخاطىء أن يعلم أيضا أن كل من يلتجىء الى الله بكل قلبه تفتح أمامه أبواب الرحمة ، ويستقبل الأب بالفرح المثلث ابنه الذى تاب توبة صادقة . والتوبة الصادقة معناها ألا يتعلق الانسان بخطاياه السالفة . وليس ذلك فقط بل أن يقتلعها من جذورها من قلبه ، فعند انتزاعها وعند طردها فقط يعود الله لكى يحل فيه من جديد ولهذا كتب أنه يكون فرح عظيم فى السماء قدام الآب وملائكته عندما يرجع خاطىء واحد ويتوب (لو ١٥ : ١٠) وقد جاء أيضا أريد رحمة لا ذبيحة (هو ٦ : ٦ ـ مت ٩ : ١٣) هل أسر بموت الشرير بل برجوعه عن طرقه فيحيا (خر ١٨ : ٢٣) ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج وان كانت أشد سوادا من الظلمة أغسلكم وأجعلكم كالصوف الأبيض (أش ١ : ١٨) وفى سلطان الله وحده أن يغفر الخطايا ، وألا يحسبها علينا لأن الرب يأمرنا أيضا أن نغفر فى كل يوم للأخوة اذا تابوا (مت ٦ : ١٤) فان كنا ، ونحن بعد أشرار ، نعرف كيف نعطى عطايا جيدة (لو ١١ : ١٣) فبالأولى طبيعة أبى المراحم ، الأب الصالح واهب التعزيات، الكلى الرأفة والرحمة، الطويل الأناة ، الذى ينتظر عودة التائبين .

فالتوبة الحقيقية ـ اذاً ـ هى الكف عن الخطية وعدم الرجوع بالنظر الى الوراء .

+ + +

٤٠ ـ الغفـران

اذاً فغفران الخطايا الماضـية هو عطيـة الله ، أما غفران الخطايا الآتية فعلى الانسان أن يأخذه بنفسه ، ولا يتأتى ذلك الا بالتوبة والندم وادانة الأفعال الشريرة ثم يطلب من الآب أن يطرحها فى بحر النسيان لأنه هو وحده القادر أن يحيل الى العدم ما هو كائن بالفعل ، وذلك بالرحمة النابعة من قلبه الرقيق فيمحـو كل أثر للخطـايا السالفة بمسـحة الروح القدس . وهكذا تقول بعض الكتب أن الرب يديننا حسب الحالة التى يجدنا فيهـا فيكون الصوت الأخير أعلى الأصوات جميعـا . حتى اذا قام الانسان بجلائل الأعمال فى غضـون حياته ، ولكنه ارتد الى هـوة الاثم ، فكل ما أتاه من أفعـال وما احتمله من آلام لا يجديه نفعا اذا حل به المـوت وهـو ساقط من صلاحه ومجده . وكذلك العكس صحيح ، فمن الممكن جدا أن الانسان الذى عاش فى اللهو والعبث ردحـا طويلا من الزمن ، اذا ما تاب عن خطاياه يستطيع بعد توبته أن يتغلب على سـلوكه الماجن المستهجن الذى انخرط فيـه طوال هذا الوقت ، الا أن هذا يحتاج الى الحرص البالغ تماما كما تحتاج الأجساد التى ترزح تحت وطأة المرض طويلا الى رعاية خاصة ونظام دقيق فى الغذاء .

واذا كان اللص يطلب الغفران فمن الحق عليه أن يمتنع عن السرقة ، وعلى الزانى ألا يلتهب بالشهوات بعد ، وعلى الفاجر أن يحفظ ناموس العفة والطهارة فيما بعد. وما تأخذه

من حقوق الآخرين عليك لا أن ترده فقط بل الواجب يقضى عليك أن ترد أكثر مما أخـذت . واذا كنت قد تورطت فى شهادة الزور ، فاحرص بعد ذلك على التمسك بالحق والصدق . واذا كنت قد استهنت باسم الرب فى أقسامك الكثيرة فلا تحلف البتة ، بل انتزع من نفسك جميع الأهواء الفاسـدة والانفعالات الشريرة كالغضب والشهوة والحزن والهم والخوف حتى توجـد ـ فى النهـاية ـ مراضيا ومصالحا لخصـمك . **ومع هذا فمن المحتمل أن يستحيل عليك القضـاء على هذه الأهواء والانفعـالات الغريزية دفعة واحـدة ، ولكن يمكنك تقويمها واصلاحها بقوة نعمة الله ، وتدخل البشر الحكماء ، ومعونة الاخوة والتوبة الصادقه مع المثابرة على التزام الحرص والحذر .**

\+ + +

٤١ ـ المرشـد الروحى

فان كنت معتزا بمالك معتزا بقوتك فمن الضرورة بمكان أن تجد لنفسك رجلا نقيا من رجال الله تتخذه لك مرشـدا يعلمك ودليلا يدربك . ومع أنه انسان الا أن الواجب يقضى عليك أن تقدم له الكرامة والمخافة ، وتخضع لسلطانه تنصت لكل مـا يقوله لك . ومع أنه يتكلم كمن له سلطان ، وفى بعض الأحيان يغلظ لك القول ويقسو عليك ، الا أنه فى نفس الوقت يشفيك من أسـقام الروح .

حسن للعينين أن تذرفا الدمع السخين فى بكاء الندم ، وأن تحتملا أوجاع العلاج فهذا أفضل من أن يعيا بصرهما على الدوام • وهكذا نرى أن الخطر كل الخطر على الروح أن تمارس اللذة بلا انقطاع ، حتى يصيبها العمى الروحى وتنهار وتسقط اذا لم يوقظها الحديث الصريح الجرىء • جدير بك أن تخشى مرشدك حين يغضب ، وتتألم حين يئن ، وتجله وتحترمه عندما يكبح جماح غضبه أو يشتد عليك ويقسو عندما يراك تهون من أمر العقاب وهوله •

قد يقضى المرشد الروحى كثيرا من لياليه لا يعرف معنى الكرى ، ولا يراود النوم أجفانه لأنه يتضرع ويصلى ويتشفع من أجلك أمام الآب ، يلهج بالتسبيح ويلح فى الطلبات لأنه يدرك حقا أن الآب لا يصم أذنيه عن هذيذ أولاده وهم يطلبون رحمته وحنانه • ومن أجل تلميذه صاحب الأموال يرفع الشيخ صلواته النقيه التى تعلو الى هيكل القدير كما من ملاك الله الذى يحزن ويكتئب لأجلك ، رغم أنك أنت هو السبب فى انسحاق روحه وحزن قلبه • والله لا يشمخ عليه (غل٦:٧) ولا يستمع الى الألفاظ المتعالية ولا ينطلى عليه رياء المنافقين لأنه وحده هو فاحص القلوب والكلى • ينصت الى المطروحين فى اتون النار ، ويصغى الى تضرعات الصارخ من بطن الحوت• وهو قريب من كل الذين يؤمنون ، بعيد عن المستهترين وغير المؤمنين وغير التائبين •

+ + +

٤٢ ـ ابن ضال !

ولكى نثبت ثقتنا أن التوبة الصادقة تفتح بابا أكيدا للخلاص ، سأروى لكم هذه القصة ، وهى ليست من صنع الخيال أو الأوهام ، ولكنها من قصص التقليد التى تواترت عن الرسول يوحنا ٠

بعد موت الامبراطور الطاغية ، عاد القديس يوحنا من منفاه فى جزيرة بطمس الى أفسس وأخذ يجول ويفتقد البلدان المحيطة بها فقد دعى اليها لكى يقيم فى بعضها أساقفه ، وفى البعض الآخر يرتب شئونها ، أو يضع يده على المختارين من الروح القدس أحيانا أخرى ٠

وصل الى احدى هذه المدن القريبة ، ويقال أنها سميرنا (أزمير) ، وانكب على ترتيب أمورها كما طلب اليه الاخوة ٠ وبعد أن فرغ من ذلك اتجه الى الأسقف وقدم اليه شابا قويا، وسيم الطلعة ، ممتلئا من نشاط الشباب وحيويتهم ، ثم قال للأسقف : فى حضرة المسيح والكنيسة ، وهم شهود على هذا أستودع هذا الشاب الأمانتك وغيرتك لكى تتعهده وترعاه ٠ وقبل الأسقف الوديعة ، ووعد الرسول بانجاز ما طلب ، ولكن الرسول لم يفتأ يكرر الوصية حتى حان وقت الرحيل ، فانطلق ومضى الى أفسس ٠

أخذ الأسقف الشيخ ذلك الشاب الى بيته ، وتعهده بالتربية والرعاية والمحبة حتى اصطبغ الشاب بالمعمودية

المقدسة . واذ وصل الأسقف بهذا الشاب الى هذا المدى ، أخذ يخفف من حزمه فى الرعاية ، ومن شدته فى التوجيه والوصاية اعتقادا منه أن ختم الرب الذى أعطاه اياه فى سر الميرون يكفى تماما لحمايته . ولكن صاحبنا أخذ يستمرىء الحرية التى حصل عليها قبل أن ينضج نضوجا كافيا ، فالتف حوله جماعة من الشباب فى مثل عمره ، عرفوا بالتسكع والانحلال والانغماس فى طريق الشر فأفسدوا ذهنه ، وساقوه فى طرق الغواية ، فأغروه فى بداية الأمر بالولائم واللهو والعبث معهم ، ثم تدرجوا فى التماس المتع المختلفة والمغامرات الليليه حتى بدأ يصاحبهم فى رحلاتهم المشبوهة خارج المدينة يقطعون الطريق ويسلبون كل ما تصل اليه أيديهم ، وأخذت جرأته تستفحل فى الشر حتى اعتاد الاجرام ، وانقطعت كل صله له بحياة البر ، وكالفرس الجامح أوغل فى سبيل الشر منحدرا الى أعماق الرذيلة بكل ما يحمل بين جنبيه من قوة الشباب . ورسخ فى ذهنه أن من المستحيل أن يعود الى الرب أو أن يخلص . وتبلد احساسه وشعوره فلم يفكر فيما آل اليه حاله من سوء ، وقد اعتاد هذا اللون من حياة الجريمة وأيقن من هلاكه . لم يخالجه الشك فى أنه سيلاقى نفس المصير الذى سيلاقيه رفاقه ، وفى غمرة اليأس جمعهم وكون منهم عصابة من قطاع الطرق وهو على رأسها بما يتميز به من قسوة ووحشية وتعطش الى سفك الدماء .

ودارت عجلة الزمن ، وجد من الأمور ما دعا الكنيسة أن ترسل فى طلب الرسول فلبى الدعوة ثم فحص الأمور

التى عرضتها عليه الكنيسة وقرر فيها ما ارتآه بحكمته . وبعد أن انتهى من ذلك ، نظر الى الأسقف وقال : تعال أيها الأسقف وأعد الى الوديعة التى سلمتها اليك مع المخلص أمام الكنيسة كلها ، وهى تشهد بذلك . واضطرب الأسقف فى بادىء الأمر ظنا منه أنه اتهام ظالم عن وديعة من المال ، لم يحدث بالفعل أن تسلمها من الرسول . ولم يستطع أن يصدق هذا التأكيد الملح الذى يردده الرسول بخصوص الوديعة ، وفى نفس الوقت لم يجرؤ على تكذيبه ، ووقف مبهوتا تنتابه الحيرة حتى قال الرسول : أنا أريد الشاب الذى سلمتك اياه ، أنا أطلب منك روح ذلك الأخ .

وما كاد الأسقف يسمع هذا الطلب ، حتى ندت عن صدره زفرة حارة ، وأن أنينا حزينا والدموع تتزاحم فى مقلتيه وهو يقول : لقد مات .. وأية ميتة ؟! لقد مات .. مات لله . لقد انحرف الى طريق الشر ، وتمادى فيه حتى صار أخيرا من قطاع الطرق ، وها هو يسيطر على هذا الجبل الذى يمكنك أن تراه من نافذة الكنيسة ، وتحت امرته طغمة من الأشرار أمثاله .. ووقف الرسول فى ذعر ، وشق ثيابه ثم لطم على رأسه فى ألم وحسرة وهو يجيب : لقد تركت روح هذا الأخ فى حراسة طيبة !! هاتوا لى حصانا ودليلا للطريق . وامتطى الجواد وانطلق من الكنيسة الى الجبل حيث أمسك به اللصوص ، فلم يحاول الهرب أو التوسل اليهم لكى يطلقوا سراحه ، بل استسلم لهم وهو يصيح : انه

من أجل هذا الغرض أقبلت ، وصلوني الى رئيسكم ·· وأثناء هذا الحوار ، كان الشاب ينتظر رجاله وهو مدجج بالسلاح الا أنه ما كادت عيناه تقعان على الشيخ القديس ويتعرف على شخصيته وهو يتقدم نحوه ، حتى غمره شعور بالخجل ، فاستدار وأطلق ساقيه للريح · ولكن الرسول أيضا انفلت من حراسه ، وأخذ يعدو في أثره بكل قواه ، وقد نسى تجاعيد الشيخوخة واعبائها على كتفيه ·· أخذ ينادى : لماذا تهرب منى يا ولدى ؟ لماذا تهرب منى ؟ أنا أبوك ·· أبوك الأعزل الشيخ ! اشفق على يا ولدى · لا تخف ، ما زال أمامك رجاء فى الحياة · سأقدم أنا حسابك الى المسيح ·· واذا أحتاج الأمر فأنا مستعد أن أقدم حياتى لأجلك ، كما فعل المسيح من أجلنا ·· من أجلك يا ولدى أنا مستعد أن أقدم حياتى · قف ، آمن ، لقد أرسلنى لك المسيح ·

ولما سمع الشاب ذلك ، وقف ثم أطرق نحو الأرض ، وارتخت ذراعاه ، وسقطتا الى أسفل ، وسرت رعدة فى أوصاله ثم انخرط فى البكاء بمرارة · واقترب منه الشيخ وأحاطه بذراعيه وضمه الى صدره ، فى حنان يشجعه ويعزيه · ثم انسابت دموع الشيخ فى غزارة حتى اعتمد فيها الشاب معمودية ثانية · وبينما كان يخفى عنه ذراعه الأيمن ، أخذ يطمئنه ويقويه وهو يؤكد له بعهود حاسمة أنه سيحصل من أجله على الغفران من المخلص · وأخذ يلح على الشاب حتى ينتعش فى نفسه الأمل ، واذا به يسقط على ركبتيه

ويقبل يده اليمنى التى تطهرت بالتوبة وأمسك به واقتاده الى الكنيسة مرة أخرى ٠

وهناك دأب على التضرع فى صلوات كثيرة مصحوبة بجهاد عنيف بأصوام متواصلة ، ذهنه يردد رجاء قلبه فى اصرار ومثابرة حتى أعاده ثانيا فى الايمان حتى صار قدوة بارزه ومثالا رائعا على التوبة ، ورمزا قويا للولادة الجديدة ونموذجا للبعث والقيامة التى نرتجيها ، عندما ينتهى العالم فيأتى الملائكة بالفرح والتهليل يفتحون أبواب السماء ليدخل فى المظال الأبدية كل الذين عاشوا فى التوبة ٠ وأمام الجميع يتقدم المخلص بنفسه لكى يستقبلهم ويحتفى بهم ويفيض عليهم بالنور الذى لا ينقطع ، ولا تعتريه ظلمة حتى يقودهم الى حضن الأب القدوس ، والى الحياة الأبدية وا ملكوت السموات ٠

علينا أن نؤمن بهذه الأمور ، ونؤمن بأنبياء الله وتلاميذه ، وبالأكثر بالله نفسه الأمين فى كل وعوده وعهوده ، كما نؤمن بالنبوات والأناجيل وتعليم الرسل ٠ فاذا عشنا طبقا لها ، وأعرناها آذانا صاغية ومارسنا الأعمال الصالحة حتى اذا انتقلنا من أرض الغربة ، نعاين نهاية كل هذه الأمور ونرى قياس هذه الحقائق التى تعلمناها ٠

فكل من يحيا فى هذا العالم ويرحب بملاك الصبر ، لن يندم أو يكتئب عندما يفارق خيمة الجسد ، ولا يخجل حين يرى المخلص آتيا فى مجده ومع قوات الأجناد السمائية ٠

أما اذا اختار المرء لنفسه أن يتمادى فى الخطية ، وينغمس فى اللذات ويفضل التهالك فى المتع ومباهج العالم على الحياة الأبدية . ويتحول بعيدا عن مخلص النفوس واهب الغفران ؛ فلا يحق لهذا الانسان أن ينحو باللائمة على الله أو المال أو حتى نفس سقوطه بل يجب أن يدين نفسه ويبكت ذاته وروحه التى تهلك بارادته .

أما من يرفع عينيه الى الفداء والخلاص ، ويسعى فى طلبه ، ويجاهد من أجل انسكاب النعمة عليه فى غيرة وجرأه، فالآب القدوس الذى فى السموات ينعم عليه بالتطهير الكامل والحياة الدائمة المستقيمة .

هذا الذى له ، بابنه يسوع المسيح اله الأحياء والأموات ، وبالروح القدس المجد والكرامة والقوة والعزة الى الأبد ، الآن وكل أوان ، من جيل الى جيل ، من الأزل والى الأبد . آمين .

الكتاب الثانى :

فى عيـد النيروز القـادم

أول توت ١٦٨٨ الموافق ١١ سبتمبر ١٩٧١

رسالة الى الشهـداء

بقـلم

العلامة أوريجانوس

العبقرية الفـذة التى سـيطرت على الفـكر المسـيحى والعـالم القديس الـذى عاش فى عمق الـكلمة ... والمؤمن الشـجاع الذى واجـه الآلام والاضـطهاد بروح الشهادة وروح الاستشهاد ، كتب هذه الرسالة من روحه ونبضـات قلبه .

يرجى الاتصال بكنيسة مار مينا بالمندرة ـ الاسكندرية لحجز النسخ المطلوبة

رقم الايداع بدار الكتب ٤٦٤١ لسنة ١٩٧١

مطبعة دار العالم العربى
٢٣ شارع الظاهر ـ القاهرة
تليفون ٩٠٦٧٠٦

يطلب هذا الكتاب من :

الاسكندرية :

مكتبة كنيسة مار مينا بالمندرة
كنيسة السيدة العذراء بمحرم بك
كنيسة مارجرجس باسبورتنج

القـاهرة :

مكتبة المحبة القبطية بالقاهرة
مكتبة مدارس الأحد بالجيزة
دار مجلة مرقس بشبرا
مكتبة التربية الكنسية بكنيسة مار جرجس – خمارويه شبرا – مصر
مكتبة كنيسة مارمرقس بشبرا – مصر